الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي – سرت

كلية الآداب والتربية قسم التاريخ/شعبة إسلامي

الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة وأثرها على أوروبا

(الثاني – الخامس الهجري/الثامن – الحادي عشر الميلادي)

بحث مقدم لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة
سعيدة صالح عبد الكريم أحمد

إشراف الدكتور
صالح مصطفى مفتاح المزيني

للعام الجامعي 2008 ف

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية قسم التاريخ / شعبة إسلامي

" الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة وأثرها علي أوروبا من القرن الثاني إلي الخامس الهجري، الثامن إلي الحادي عشر الميلادي"

إعداد:ـــ سعيدة صالح عبد الكريم.

أعضاء لجنة المناقشة:ـــ

1- د. صالح مصطفى مفتاح المزيني.

2- د. عبد الواحد عبد السلام شعيب.

3- د. صالـح معيـــوف مفتـــاح .

توقيع

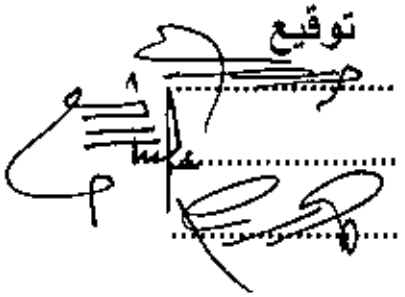

يعتمد

أ. رحمة ابوبنينة عبد السلام

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب لكلية الآداب والتربية

يعتمد

أ. حمد أحمد النجاح

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربيـــة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية *قسم التاريخ / شعبة إسلامي*

" الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة وأثرها علي أوروبا من القرن الثاني إلي الخامس الهجري، الثامن إلي الحادي عشر الميلادي"

إعداد :ـــ سعيدة صالح عبد الكريم.

أعضاء لجنة المناقشة :ـــ

1- د. صالح مصطفى مفتاح المزيني. .....

2- د. عبد الواحد عبد السلام شعيب. .....

3- د. صالـح معيـــوف مفتـــاح . .....

توقيع

يعتمد

أ. رحمة ابوبنينة عبد السلام .

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب لكلية الآداب والتربية

يعتمد

أ. حمد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربيـــة

الإهـــــــداء

***

إلى روح والدتي الطاهرة
راجية من الله القوي العزيز أن يتغمدها برحمته الواسعة

إلى والدي العزيز
أسأل الله عز وجل أن يمنحه دوام الصحة والعافية

إلى إخواني وأخواتي الكرام
رفقاء دربي

إلى عائلتي لما بذلته معي من جهد

إليهم جميعاً أهدي عملي هذا راجية من الله عز وجل
أن يرعى الجميع برعايته ويحفظهم بحفظه

الباحثـــة

شكـــــر وتقديـــــر

* * *

الحمد لله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمة ، شاكرة فضله لما منحني بلطفه من قوة وصبر على إنجاز هذا العمل المتواضع .

وبعـد

يسعدني وقد أنهيت كتابة رسالتي هذه أن أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى الدكتور صالح مصطفى المزيني الذي قبل الإشراف على رسالتي ، وكان كريم النفس كثير العطاء فلم يبخل علي بوقته الثمين ، وتوجهاته ونصائحه التي كان لها أثراً كبيراً في إنجاز هذا العمل، فادعو الله العزيز القدير أن يطيل عمره ويجزيه عني خير الجزاء.

كما يطيب لي أن أشكر الأستاذين عبد الواحد شعيب والأستاذ عبد الحكيم الكعبي ، اللذان أمداني ببعض المراجع والمقالات ، والتي كان لها أثراً كبير في إثراء هذا البحث .

وأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان للعاملين بالمكتبة المركزية بجامعة التحدي وأمينها الأستاذ مصطفى الشريف ، لما قدموه لي من مساعدات قيمة في سبيل الحصول على بعض المؤلفات التي تخص موضوع بحثي، فلهم مني جزيل الشكر .

كما أسجل شكري وتقديري للأستاذ ، محمد حسين لما قدمه من مساعدة في المراجعة اللغوية ، والأستاذ رحيم الكاظم ، الذي قدم نصحه وإرشاده لي ، فله فائق الشكر والعرفان .

ولا يفوتني أن أشكر أساتذتي بقسم التاريخ ، وزملائي الذين ساعدوني وشجعوني على انجاز هذا العمل ، كما أشكر الأستاذة مي محمد ، التي ساهمت في طباعة هذه الرسالة وإخراجها بصورة لائقة ، ولكل من ساعدني ولو بكلمة طيبة في إنجاز هذا العمل .

والله ولي التوفيق

مقدمـــة

كان للدولة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ، صلات مختلفة في مجالات متعددة مع كثير من بلاد العالم المعروفة وقتذاك ، فمنذ قيام تلك الدولة في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – رحل مبعوثوه في السنة السادسة من الهجرة يحملون كتبه إلى رؤساء الدول الكبرى ، والبلاد المجاورة لدولة الإسلام تدعوهم إلى الإسلام والسلام .

إن أهم ما يميز تاريخ العرب في العصر الوسيط ، اقترانه بإرث حضاري كان ملازما له عبر مختلف مراحله ، ولو استطاع أحد أن يجزى الحضارة العربية لكانت العلوم أعظمها صرحاً وأشرفها موقعا ، وتتبوأ اللغة ، والفقه ، مكان الصدارة ، بين كل العلوم التي أعطت للثقافة العربية بعداً حضاريا واسعاً .

لذا أولاها المسلمون جل اهتمامهم ، وعملوا بكل ما في وسعيهم على ترسيخها وتطويرها في كل منطقة يفدون إليها ، وهم في الحقيقة كانوا يأملون أن تصل هذه الثقافة إلى كل مناطق أوروبا ، وهذا ما حدث بالفعل ، كما سنرى في جزيئات هذا البحث .

ولا تزال صلات الدولة الإسلامية مع بعضها تحتاج إلى دراسة متوسعة ، وبحث عميق ، ولاسيما في المجالات الثقافية المتباينة لمختلف دول العالم ، وفي مختلف العصور الإسلامية ، وذلك بالاعتماد على المعلومات التي تحويها في المصادر التاريخية الإسلامية ، وإن كانت محدودة ، والمصادر التاريخية للدول ذات الصلة مع الدولة الإسلامية ، سواء أكانت بيزنطية أو إفرنجية أو نورماندية .

. وأرجو أن يكون لهذا البحث – إن أصاب هدفه – نصيب في دراسة بعض صلات الدولة الإسلامية في أحد عصورها الزاهية ، وهو العصر العباسي في مجالات العلاقات الثقافية مع بعض دول العالم ، والتي تشمل الإمبراطورية الرومانية المعاصرة لتلك الفترة العباسية ، والإمبراطورية الكارولنجية ، والدولة الأموية في قرطبة ، وحتى يتأكد للأذهان أن التاريخ - بوجه عام – والتاريخ الإسلامي – بوجه خاص – لا يهتم بالمجالات السياسية فقط ، بل هو تاريخ الحياة

الإنسانية بجوانبها المتباينة ، التي وجدتها في الجانب الثقافي الذي هو موضوع الدراسة .

إن السبب في اختياري لهذا الموضوع ليكون رسالة للماجستير راجع لعدة أسباب أهمها :

1- رغبتي الشخصية كمتخصصة في التاريخ بشكل عام ، والإسلامي بشكل خاص في دراسة الموضوعات الثقافية ، لما تتميز به من متعة وسلاسة ومعلومات متنوعة في مجالات علمية عديدة .

2- تشجيع أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم في مرحلة الدبلوم ، ومرحلة إعداد الأعمال العملية ، فكانت خير عون لي في إزالة بعض التشويش في بداية تكويني ، ثم بالتالي صقل رغبتي وتوجيهي إلى الطريق الصحيح ، عندما عرضت عليهم رغبتي في تناول جانب من جوانب الحضارة الإسلامية .

3- رغم ما كتب عن الحضارة الإسلامية ، إلا أن الجانب الثقافي منها خاصة في قرطبة ، لم تخصص له دراسة علمية موضوعية .

4- حاجتنا إلى دراسة موضوعات تتعلق بالاتصال والتواصل بين أنماط الثقافات في المراكز الإسلامية المختلفة ، ومدى تأثيرها على العالم الخارجي خاصة أوروبا .

5- أهمية هذا الموضوع من خلال ما يعززه من عناصر وجزيئات تتعلق بجانب هام من جوانب التاريخ الإسلامي ، وهو الثقافة .

6- يكمن سبب تحديد هذه الفترة بالذات من القرن (2 – 5 هـ/8 – 11 م) كونها من أهم وأزهى الفترات التاريخية والأدبية التي مرت بها كلا من بغداد وقرطبة، إذ يعتبر القرن (2 هـ/8 م) البداية الفعلية للدولتين العباسية في بغداد والأموية في قرطبة ، والقرن (5 هـ/ 11 م) ضعف الحكم العباسي بالعراق ونهاية وجود الخلافة الأموية بالأندلس .

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات هي :

1) كيف أثرت الأوضاع السياسية على العلاقات الثقافية بين ببغداد وقرطبة ؟

2) ما هي أبرز العوامل التي ساعدت على بلورة الصلات الثقافية بين البلدين ؟

3) ما هي الأسباب التي دفعت العلماء الأندلسيين إلى الهجرة إلى بغداد ؟

4) ما هي الأسباب التي دفعت العلماء البغداديين على الرحيل إلى قرطبة ؟

5) هل كان للعلماء والأدباء البغداديين تأثير على الحياة الثقافية في قرطبة ؟

6) هل كان للمؤلفات البغدادية تأثير على قرطبة ؟
7) ما هي أثر الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوروبا ؟
8) هل كان للشعر البغدادي تأثير على أوروبا ؟
9) هل كان لانتقال صناعة الورق أثرا كبيرا على أوروبا ؟

أما فيما يتعلق بمنهج الدراسة الذي اتبعته ، فقد تنوع بتنوع متطلبات البحث ، بين المنهج التحليلي والوصفي في بعض نواحي البحث ، والتحليلي المقارن في مواطن أخرى .

وقد واجهتني عدة صعوبات أثناء كتابة هذا البحث ، تمثلت في قلة المادة المكتوبة عن قسم كبير من نواحي البحث خاصة عن الوضع الثقافي لقرطبة قبل قيام الدولة الأموية في الأندلس ، وعن المدارس الإسلامية والبيمارستانات في قرطبة خلال عصر بني أمية ، وعن انطباعات العلماء الذين رحلوا إلى بغداد ثم عادوا إلى قرطبة .

أما عن الدراسات السابقة التي تعرضت لبعض جوانب هذا الموضوع هي :

1- بحث (أعلام من الأندلس في بغداد) ، لـ محسن جمال الدين ، الذي نشر في مجلة المورد ، العدد الرابع ، التي تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ، دار الجاحظ ، الجمهورية العراقية ، 1979 م .

يعد هذا البحث من أهم الدراسات التي استفدت منها في الفصل الثالث من الرسالة ، حيث أن هذا البحث يدرس أثر بغداد في الأندلس في النواحي الثقافية، ويدرس أثر العلماء والفنانين العراقيين الذين رحلوا إلى الأندلس ، وأثروا في حياتها الأدبية والاجتماعية ، وأعلام من الشخصيات الأندلسية التي درست في بغداد وعادت تحمل العلم للأندلس .

2- بحث (أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع) لـ عباس الجراري ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ، أبريل – مايو – يونيو 1981 م ، التي تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام في الكويت ، يشير هذا البحث إلى دراسة الجانب الثقافي والحضاري ، الذي أبدع فيه العرب والمسلمون ، كما أنه تناول مساهمة الموسيقى العربية الإسلامية في التكوين البنائي للموسيقى في أوروبا

خلال العصر الوسيط ، وما لتلك المساهمة من دور في فهم هذا التكوين العلمي لها ، حيث خدمني هذا البحث في الفصل الرابع من الرسالة .

3- رسالة ماجستير غير منشورة ، لـ وفاء مفتاح الحصادي ، بعنوان دور الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، جامعة البيان الأول ، بنغازي ، 2006 – 2007 م .

هذه الدراسة تتحدث بشكل مفصل عن الدور الذي لعبته الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، وعن أهم مسالك الحضارة العربية إلى أوروبا ، وتناولت تأثير العلوم الإنسانية بصفة عامة على الحركة العلمية في الأندلس . لقد أفادتني هذه الرسالة في الفصل الرابع .

4- رسالة ماجستير غير منشورة ، لوفاء عوض سليم خليفة ، بعنوان الرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي ، في الفترة ما بين القرنين (4 - 6هـ /10 - 12 م) .

تعد هذه الرسالة أيضا من الرسائل العلمية التي تحدثت عن دور الرحلات التي قام بها الأندلسيون إلى المشرق خلال الفترة الممتدة من (4 - 6هـ/10 - 12م) وقد عرفت بأهم الشخصيات العلمية الأندلسية التي رحلت إلى المشرق ، والعلوم التي أدخلوها إلى الأندلس ، والنتائج التي حققتها هذه الرحلات ، وقد تمت الاستفادة منها في الفصل الثالث .

واعتمدت في الدراسة على العديد من المصادر العربية ، وكذلك على عدد من المراجع المتخصصة العربية وغير العربية ، وفيما يلي تعريف بأبرزها :

1) تاريخ بغداد ، لمؤلفه الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ/1070 م) يقع هذا الكتاب في أربعة عشر جزءا ، تتناول وصف بغداد منذ تأسيسها ، وأخبار الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء الذين عاشوا فيها أو وفدوا عليها منذ أيام مؤسسها أبي جعفر المنصور حتى عصر المؤلف ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى كونه شاهد عيان على الفترة التي عاشها في بغداد، والتي تناولتها في الدراسة ، لذلك أفادني كثيرا في الفصلين الثاني والثالث .

2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي الشنتريني ، المعروف بابن بسام (ت 542 هـ/1147 م) .

يعد أيضاً من أهم المصادر التاريخية والأدبية التي تناولت تراجم أهل الجزيرة ، ويرجع السبب في ذلك إلى النقول بالغة الأهمية التي سجلها في سياق تراجمه لأدباء الأندلس وشعرائهم زمن الدولة الأموية في الأندلس ، والأدباء والشعراء الوافدين على قرطبة من بغداد ، والتي تم الاعتماد عليها في الفصل الثالث من الرسالة .

3) معجم البلدان لمؤلفه ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 620 هـ/1230 م) .

هذا المعجم من أشهر كتب الجغرافيا ، ومن أكثرها غنى في مادته العلمية ، وقد استقصى فيه مؤلفه أسماء معظم الأماكن من البلدان والقرى والجبال والأودية والبحار والأنهار والغدران ، ورتبه ترتيبا معجميا على أساس الترتيب الألفبائي مراعياً فيه تسلسل هذا الترتيب في الحرف الأول ثم الحرف الثاني ، كما أنه يهتم بضبط اسم المكان الذي يتحدث عنه ، ويورد جميع ما يتصل بهذا الاسم من روايات في اللغة ، ويسجل ما يورد ذكره في القرآن الكريم ، أو في الحديث الشريف ، ويسرد جميع ما اتصل به من شعر أو نثر أو أمثال أو حكم ، ويروي كل ما اتصل به من وقائع تاريخية أو إنسانية ، فهو موسوعة جغرافية وأدبية ولغوية ، وتمت الاستفادة منه في تعريف بعض المدن التي تم ذكرها في الرسالة .

4) الكامل في التاريخ ، لـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري (ت 630 هـ /1232 م) .

هذا الكتاب من أفضل ما صنف من كتب في تاريخ العالم الإسلامي على نسق الحوليات ، فهو مصدر وافي للعديد من الدراسات التاريخية ، وخاصة السياسية والعسكرية ، والتي لا نجد ذكرها عند غيره من المؤرخين ، مما أفادني في الفصل الثاني .

5) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، للمؤلف أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حياً عام 712 هـ/1312 م) ، يحوي هذا المؤلف العديد من أخبار الأندلس ، ويعد من أهم الكتب التي تتحدث عن أبرز ما قام به الأمراء والخلفاء الأمويون في قرطبة ، والدور الثقافي الذي لعبه مسجد الجامع في تعزيز الصلات الثقافية بينها وبين بغداد ، وتأثيره على الدول الأوروبية ، وتمت الاستفادة منه في معظم فصول البحث .

6) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، لشهاب الدين أبو عباس أحمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ/1631 م) .

يعد هذا المصدر من أوثق المصادر التاريخية والأدبية عن الأندلس ، حيث يحتوي على نصوص تاريخية قيمة ، لا نجدها إلا عنده ، وعلى كثير من الحقائق التاريخية عن الظروف السياسية التي أحاطت بالمسلمين في الأندلس ، كما وأنه يشتمل على عدد كبير من تراجم الأدباء والعلماء الراحلين من الأندلس إلى المشرق والوافدين عليها من بغداد ، وطبيعة حياتهم وأبرز أخبارهم ومؤلفاتهم ، لذلك اعتمدت عليه اعتماداً خاصاً في جميع فصول الرسالة .

أما فيما يتعلق بالمراجع التي اعتمدت عليها فهي عديدة ومتنوعة ، ومن ذلك نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر :

1- كتـــاب A history of Spain and Portgal part I لمؤلفـه Stanley G.Payne .

عالج هذا الكتاب مرحلة من مراحل البحث ، وهي الوضع الثقافي الذي كانت عليه أسبانيا قبل قيام الدولة الأموية ، حيث يدرس المؤلف الحياة الثقافية في أسبانيا، والمراحل التي مرت بها حتى وصول المسلمين إلى الأندلس ، وقد استفدت كثيراً منه في الفصل الأول .

2- كتاب العراق في موكب الحضارة ، تأليف نخبة من أساتذة التاريخ .

تناول هذا الكتاب بحوث مختلفة عن أهمية الدور الذي لعبه العراق في الحضارة، وخاصة البحوث المتعلقة بالتأثيرات العراقية على الأندلس وأوروبا ، والتي اهتم بها المؤلفون ، كما أثرى البحث بمعلومات جيدة ووافية عن التأثيرات الأدبية ، و الذي أفادني في الفصلين الثالث والرابع من البحث .

3- تاريخ الفكر الأندلسي ، لأنخل جنثالث بالنثيا ، وترجمه إلى العربية حسين مؤنس .

يأتي هذا الكتاب في طليعة ما صنف عن الحركة الفكرية في الأندلس ، فهو كتاب شامل لجوانب الحركة الفكرية من أول تاريخ المسلمين في الأندلس إلى زوال حكمهم ، لهذا أفادني كثيراً في معظم فصول الرسالة .

4- كتاب قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، لمؤلفه السيد عبد العزيز سالم في جزئين .

يعد من أهم المراجع التي أفادتني كثيراً في رسالتي ، فهو كتابٌ ذو قيمة كبيرة ، خاصة وأنه يدرس تاريخ قرطبة الإسلامية دراسة شاملة لكل سنوات الحكم العربي الإسلامي لها ، كما أنه يحتوي على العديد من المراجع العربية والأجنبية التي توضح تأثيرات العمارة الخلافية بقرطبة في الفنون المسيحية والإسلامية ، وقد تمت الاستفادة منها في كافة فصول البحث .

5- كتاب العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، لمؤلفه سليمان ضفيدع الرحيلي ، تناول هذا الكتاب شرحاً وافياً عن علاقات الدولة العباسية بالدول الأوروبية ، وطبيعية هذه العلاقات والهدف منها ، وقد توخى صاحبه فيه الدقة والوضوح والاستيعاب للمادة التاريخية ، حيث أفادني في الفصل الرابع من الرسالة .

هذا إلى جانب العديد من المراجع الأخرى ، والتي يطول المقام هنا لذكرها ، فهي ذات أهمية بالغة في تغطية كثير من النقاط التي تناولها البحث ، والتي تضمنتها قائمة المصادر والمراجع .

وقد قسمت موضوع الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، على النحو التالي :

الفصل الأول : الأوضاع الثقافية في العراق والأندلس قبل ظهور الدولة العباسية .

تناول هذا الفصل بعض تعريفات الثقافة المختلفة ، ثم تطرقت إلى طبيعة الوضع الثقافي في البلدين ، وأهم المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في العراق ، وتحدثت عن الوضع الثقافي في أسبانيا قبل قيام الدولة الأموية في قرطبة.

أما **الفصل الثاني** بعنوان **العوامل التي ساعدت على بلورة الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة .**

تطرقت في الفصل الثاني إلى الحديث عن أبرز العوامل التي ساعدت على تكوين الصلات الثقافية بين البلدين ، حيث أوضحت فيه تأثير الحياة السياسية في البلدين على الوضع الثقافي ، وبينت من خلاله الفترات التي كانت فيها العلاقات بين الإقليمين تسمح بوجود صلات ثقافية بينهما ، كما تحدثت عن المؤسسات الدينية والعلمية التي كانت موجودة في بغداد وقرطبة ، وأوضحت اهتمام الخلفاء العباسيين

والأمراء والخلفاء الأمويين بها وأثرها الثقافي في البلدين ، وأهميتها في إبراز الصلات الثقافية بين البلدين .

واهتم **الفصل الثالث** بدراسة **العلماء ودورهم في تعزيز الصلات الثقافية بين البلدين** ، حيث جاءت هذه الدراسة عن أهم العلماء القرطبيين الذين وصلوا إلى بغداد سواء كان ذلك للزيارة ولتلقي العلم بها ، ثم دفعني البحث إلى الحديث عن ابرز العلماء البغداديين الذين رحلوا إلى قرطبة من بغداد ، وما أحدثوه من تأثيرات في الحياة الاجتماعية والعلمية في قرطبة ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن المؤلفات الأدبية البغدادية التي وصلت إلى قرطبة ودرست هناك .

أما **الفصل الرابع** والأخير يحمل عنوان **أثر الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوروبا .**

فقد خصصته للحديث عن مدى ما أحدثته هذه الصلات على سائر أوروبا في عدة مجالات ، ومنها المجال الأدبي ويشمل الحديث عن تأثير الشعر والنثر والفن القصصي البغدادي على الشعر والفن القصصي الأسباني والأوروبي ، والمجال العلمي والفني الذي تطرقت فيه إلى حركة الترجمة والنقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ، وإرسال البعثات العلمية لتلقي العلوم العربية والاستفادة منها ، وتشجيع الحكام الأوروبيين على فتح السفارات مع الدولة العباسية والأموية ، وطبيعة هذه السفارات ، وأيضاً الحديث عن انتقال صناعة الورق إلى أوروبا من بغداد وعبر أسبانيا ، وما نتج عنها من تطور للحركة العلمية لباقي أوروبا .

وفي الختام فإنني لا أدعي الإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع من كل الوجوه ، ولكن حسبي أني بذلت جهدي في هذا السبيل ، كما التمس العذر مسبقاً عما قد يوجد من أخطاء فيه ، وما قد يظهر فيه من القصور ، وأسأل الله سبحانه وتعالى ، أن ينال جهدي هذا الرضى والاستحسان .

والكمال لله وحده

والله ولي التوفيق

الباحثة

الفهـــرس

***

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ – ح
الفصل الأول : الأوضاع الثقافية في العراق والأندلس قبل ظهور الدولة العباسية	16 – 1
أولاً : مفهوم الثقافة	2
ثانياً : الأوضاع الثقافية في العراق قبل قيام الدولة العباسية في بغداد	6
أ- الكُتّاب	7
ب- المساجد	8
ثالثاً : الأوضاع الثقافية في الأندلس قبل قيام الدولة الأموية في قرطبة	14
الفصل الثاني : العوامل التي ساعدت على بلورة الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة	56 – 17
أولاً : الحياة السياسية في البلدين وأثرها على الوضع الثقافي	18
ثانياً : المؤسسات الدينية والعلمية	28
أ- المساجد	28
ب- المكتبات	35
ج- المدارس الإسلامية	45
د- البيمارستانات	47
هـ - الأربطة	52
و- المجالس العلمية	55
الفصل الثالث : العلماء ودورهم في تعزيز الصلات الثقافية	84 – 57
أولاً : أهم علماء الأندلس الذين رحلوا إلى بغداد	59
أ- بَقِيّ بن مَخلَـد .	60
ب- قاسم بن أصبغ .	61
ج- القاضي أبو الوليد الباجي .	63
د- أبو عبد الله الحميـــدي .	65

ثانياً : أبرز العلماء البغداديين الذين انتقلوا إلى قرطبة .	67
أ- زريـــاب .	67
ب-أبو علي القالي .	73
ج- صاعد البغدادي .	79
الفصل الرابع : **أثر الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوروبا**	104 – 85
أولاً : الأثر الأدبـــي	88
أ- أثر الشعر البغدادي في قرطبة وأوروبا .	88
ب- تأثير المقامات البغدادية في قرطبة وأوروبا .	92
ثانياً : الأثر العلمـــي والفني	95
أ- حركة الترجمة والنقل .	95
ب- إرسال البعثات العلمية وفتح السفارات .	97
ج- صناعة الـــورق .	102
الخاتمة	110 – 105
المصادر والمراجع	130 – 111

جدول الاختصارات
التي تم استخدامها في البحث

الاختصار	الكلمة
ت	توفى
تر	ترجمة
ج	الجزء
د.ت	دون تاريخ نشر
ص	الصفحة
ص ص	الصفحات
ط	الطبعة
ق	القسم
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
/	علامة فاصلة بين التاريخ الهجري والميلادي
p	page
p.p	pages
op.cit	المرجع السابق
Ibid	المرجع نفسه

الفصـــــل الأول

الأوضاع الثقافية في العراق والأندلس قبل ظهور الدولة العباسية

أولاً : مفهوم الثقافة .

ثانياً : الأوضاع الثقافية في العراق قبل قيام الدولة العباسية في بغداد .

ثالثاً : الأوضاع الثقافية في الأندلس قبل قيام الدولة الأموية بقرطبة .

الأوضاع الثقافية في العراق والأندلس
قبل ظهور الدولة العباسية

أولاً : مفهوم الثقافة :

الثقافة : مصدر فعل ثقف ، ثقف الشيء ثقفاً وثقافا وثقوفة ، أي حذقه ، ورجل مثقف يعني أنه صار حاذقاً فهماً[1] .

ولا يخرج مفهوم الثقافة عند اللغويين العرب[2] عن معنى الحذق والفهم وسرعة التعليم والتهذيب والمهارة ، وثبات المعرفة وما يحتاج إليه هذا الثبات ، وتستعمل كلمة الثقافة استعمالاً مادياً ومعنوياً[3] ، فاستعملها الرومان للدلالة على العلوم الإنسانية كالدين واللغة والآداب وعلى الفنون غير العلمية وغير الطبيعية التي لها فلسفة معينة واتجاه مميز تجعل كل أمة مستقلة عن غيرها من الأمم[4] .

إلا أن التشعب في معناها ومفاهيمها ، يكمن في التصور الخاطئ في استعمال مصطلح الثقافة للإشارة إلى الحضارة والتقدم[5] .

ونظراً لارتباط الثقافة بمعطيات العقل الإنساني المتجدد بصورة تجعل مفهومها وماهيتها يضيق ويتسع للإلمام بهذه المعطيات ، ونظراً لاختلاف الظواهر الحياتية في كل من الشرق والغرب ، وأنماط الحياة السائدة فيهما عرف الأستاذ مالك بن نبي : الثقافة على أنها علاقة بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع ؛ وهي تركيبة عامة للأجزاء الأربعة : الأخلاق ؛ الجمال ؛ المنطق العلمي؛ الصناعة ، وبصفة عملية هي : مجموعة الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته حتى وفاته[6] .

1- أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور : لسان العرب ، ج9 ، دار صادر ، لبنان ، (د.ت) ص 19 ، كذلك محمد ضيف الله بطاينة ، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ج1 ، دار الفرقان، عمان ، 1985 م ، ص 6 .

2- ابن منظور ، المصدر السابق ، ج9 ، ص ص 19-20 ، كذلك محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي . مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1983 م ، ص ص 84- 85 ، أحمد المقرى الفيومي ، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ج1-2 ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، (د.ت)، ص 114 .

3- علوى طه الصافي ، تعريف الثقافة ومفهومها ، مجلة الفيصل ، العدد 143 ، السعودية ، ديسمبر 1988م، ص 7 ، كذلك عبد الكريم الجزائري، الثقافة وأسسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت) ، ص 19.

4- نادية الشريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، لبنان ، 1986 م ، ص 14 .

5- أحمد عصام الصفدي ، الثقافة والفهم الخاطئ ، الإسلام اليوم ، العدد 6 ، المنظمة الإسلامية والثقافة والعلوم الاسيسكو ، 1988 م ، ص 107 .

6- مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، سوريا ، 1984 م ، ص ص 66 - 67 .

وهذه القيم لا تخص طبقة دون غيرها ، بل تشمل المجتمع كله من أعلاه إلى أسفله ، ويقترب هذا المعنى بما ذكره أحمد بن نعمان ؛ في تعريفه للثقافة على أساس أنها البيئة التي صنعها الإنسان لنفسه ، فهي كل ما يتضمن اللغة والعـــادات والتقاليد والنظم الإجتماعية الموجودة في جميع المجتمعات البشرية ، وتتسع لكل ما أبدعته عبقرية أبنائها عبر العصور المتعاقبة في تاريخ الحضارات، لذلك تشتمل على عناصر مادية ؛ وهي الوسائل التي يستعملها الأفراد في معيشتهم ؛ كالمباني ؛ والأثاث ؛ والملابس ؛ والمخترعات ، وكل ما تزخر به الحضارة في مجالاتها المادية ، والمعنوية ، ويقصد بها اللغة والأدب والعلوم ؛ والأعراف والقانون ؛ والأخلاق[1] .

يوضح أحمد بن نعمان ؛ بأن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على " أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحيـــاة ... كما وأنها تمنح الإنسان القدرة على التفكير بذاته ... وهي وسيلته للتعبير عن نفسه ، وعن ذاته كمشروع غير مكتمل "[2] .

بما أن الثقافة تقتصر على مجالي المعاني والقيم التي يضيفها الإنسان إلى الحضارة ، فإن الحضارة أصبحت نتاجاً للتقدم العلمي والتكنولوجي[3] ، لذا تختلف الحضارة عن الثقافة من عدة وجوه أحدها أن الثقافة تعد جانباً فكرياً وروحياً ، في حين تمثل الحضارة ذلك الجانب الذي يرتدى طابعاً عقلانياً ملازماً للتقدم المادي الإنتاجي والتقني[4] .

وبمعنى أخر فإنها تصوراً ، وإرادة تكمن في قرار الإنسان عكس الحضارة التي هي الأثر والنتيجة لذلك القرار[5] ، وانطلاقاً مما سبق من تعريفات

1- علاقة اللغة بالفكر والثقافة ، رسالة الجهاد ، العدد 83 ، الجماهيرية ، ديسمبر 1989 م ، ص62 .
2- أثر العقيدة الخاتمة في ثقافة المسلمين، رسالة الجهاد، العدد 102، الجماهيرية، الفاتح، 1991م، ص104.
3- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (د.ت) ، ص 477 .
4- مصطفى حجازي ، ثقافة الطفل العربي بين التعريب والأصالة ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، 1990 م ، ص 20 .
5- عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص ص 38 - 39 .

للثقافة يمكن تقسيم معناها العام ، وبشكل منهجي تنظيمي إلى ثلاثة مفاهيم هي : المنظور الفكري ؛ والاجتماعي ؛ والمادي[1] .

يقصد بالمنظور الفكري للثقافة ؛ عملية ترقية للإنسان باكتسابه المعارف الروحية والذهنية والعملية التي تنمي الحس النقدي والذوقي في مجال معين كالفلسفة والآداب والفنون والعلوم على اختلافها[2] .

أما من حيث المنظور الاجتماعي فإنه مجمل ما يمنحه المجتمع لأبنائه من قيم وأساليب وسلوك وعادات وتقاليد وأدوار وتقنيات ليتكيف معها الفرد في نمط معيشته مع المجتمع ؛ وهو ما يكسبه طابعاً متميزاً عن المجتمعات الأخرى[3] .

والثقافة بالمعنى المادي هي : جل ما ينتجه الإنسان طوال حياته أو يتوارثه اجتماعياً من أدوات ووسائل لمقاومة الزوال ، وتحقيق أفضل الشروط الممكنة لمعيشة يراها مثالية في إطار القيم والمعتقدات التي يؤمن بها ويطبقها في حياته الاعتيادية ، وهي التي تحدد سلوكه وترسم صورته[4] .

لذا فإن ثقافة عصر ما ، تعني كل ما يكتسبه هذا العصر من العصور السابقة والمعاصرة له ، ويمكن إرجاع تعدد تعريفاتها إلى اختلاف تخصصات واتجاهات المهتمين بها .

يؤدي هذا التضارب في تعريف مصطلح الثقافة إلى تأييد رأي عبد الفتاح أحمد أبو زايدة ، في تضيق دائرة الخلاف في مفهومها واعتبارها مجموعة متنوعة من المعارف يكتسبها الإنسان بالقراءة والتجربة والممارسة العلمية في الحوار مع الآخرين ، مما يجعل لديه اهتماما متزايداً بالفكر البشرى ، ويبدو أن كل المعتقدات تتكون وتتبلور نتيجة لتراكم الخبرات الإنسانية في مجتمع معين ، لذا يمكن القول بأن الثقافة دائمة التغير ، بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات ، وأدوات وقيم وأنماط سلوكية وألفاظ لغوية واختيار ما يلائم الظروف الإجتماعية للمجتمع[5] .

1- مصطفى حجازي ، المرجع السابق ، ص 18 .
2- المرجع نفسه ، ص 21 .
3- المرجع نفسه .
4- أحمد بن نعمان ، أثر العقيدة الخاتمة في ثقافة المسلمين ، ص 104 .
5- الثقافة وبناء الشخصية الأدبية ، الفصول الأربعة، العدد 90 ، الجماهيرية ، يناير ، 2000 م ، ص 105 .

لهذا اتجه كل من المجتمع الأموي والعباسي نحو ثقافة تتناسب مع ظروفه الاجتماعية ، وموقعه بين الدول المجاورة له ، ويمكن التمييز بين الثقافتين الأموية والعباسية ، فالأولى تغترف من معين الأدب العربي والمعارف الدينية والإسلامية ؛ من حديث ؛ وتفسير ؛ وفقه بالدرجة الأولى بالإضافة للثقافة اليونانية القديمة ، في حين تختلف ثقافة العصر العباسي ؛ بكونها مكونة من عدة ثقافات وحضارات، أولهما العربية والإسلامية ، وثانيهما اليونانية والهندية والسريانية والفارسية ، التي قام بنقلها الوزراء والعلماء ، وبمرور الوقت حدث التفاعل الثقافي بين المجموعات العرقية والدينية المتعددة ، التي يتكون منها المجتمع الإسلامي في مطلع القرن الثالث للهجري/التاسع الميلادي[1] .

1- مصطفى علم الدين ، الزمن العباسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1993 م ، ص ص228 - 229 .

ثانياً : الأوضاع الثقافية في العراق قبل قيام الدولة العباسية في بغداد

كان العراق في العصور الإسلامية الأولى ، من أهم مراكز الحياة الفكرية ، والعقلية بفروعهما المختلفة ؛ من علم ؛ وتفسير ؛ وحديث ؛ وفقه ؛ ولغة ؛ ونحو ، وصرف ؛ ومن ترجمة الكتب الفلسفية والجد في تفهمها والتعليق عليها ؛ ومن مذاهب كلامية ؛ وعلوم طبية ، وطبيعية ، كما صار له مكانة مرموقة في الأدب والفن من نقش وتصوير ونحت ، ويشهد على هذا وذاك الذخائر التي ألفت في كل علم وفكر وفن[1] .

كانت معركة القادسية سنة (16 هـ/637 م) من معارك التاريخ الكبرى التي خاضها العرب ضد السيطرة الساسانية ؛ والاحتلال الفارسي للأرض العراقية أرض التراث والحضارات الزاخرة بكل لون من ألوان المعرفة والثقافة والعلم ، وبذلك أنهت الوجود الساساني ، وحررت الذات العربية في العراق من القيود الثقيلة ، التي صارت تكبل طموحه في النمو والتطور ، وبفضلها انطلق الذهن العراقي يعبر عن سموه وشموخه في بناء صرح الحضارة الجديدة التي جاء بها الإسلام الحنيف بمبادئه السامية[2] .

ولعل الأسباب التي أدت إلى ازدهار الحياة العلمية والأدبية في العراق خلال العصر الأموي ، ان أهله رأوا أن ينصرفوا عن السياسة حتى لا يتعرضوا لاضطهاد بني أمية ، فوجهوا اهتمامهم إلى الاشتغال بالعلوم والآداب ، كما أراد الموالي أن يصلوا إلى مرتبة العرب ، فأقبلوا على تعلم اللغة العربية حتى أجادوها وبدأوا ينهلون من مناهل الأدب والعلم[3] .

لذا فإن المدن العراقية كانت تختلف اختلافاً كبيراً عن المدن العربية الأخرى التي لم تتأثر إلا قليلاً بتغير الظروف ، إذ ترتب على حملات الفتوح هناك ظهور عالم جديد ، وإذا صح القول ، جنساً جديداً له مميزاته الخاصة ، حيث أن التطور

1- قحطان عبد الستار الحديثي ، الحركة التعليمية التقاليد والمراسيم العلمية في المدارس والجامعات والمكتبات وأثرها ، العراق في موكب الحضارة ، نخبة من أساتذة التاريخ، ج4 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1988 م ص 115.

2- المرجع نفسه .

3- علي حسن الخربوطلي ، الحضارة العربية والإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص 238 - 239 .

السريع الذي أصاب المدينتين البصرة والكوفة بفعل المؤثرات الفارسية أدى إلى قيام حركة ثقافية حية ، وغدا البصريون والكوفيون أوفر المسلمين نشاطاً ذهنياً ، وكذلك أدى موقع المدينتين الجغرافي ، ووضعهما الثقافي ، وتوسطهما بين المدينة المنورة ودمشق إلى تمسك أهليهما بالاستقلال في الميدان السياسي بحرية إبداء آرائهم ، وفي ميدان الثقافة والعلم والاهتمام بدراسة اللغة دراسة علمية[1] .

لذلك أصبح العراق رائداً في مضمار العلم والمعرفة ومنبراً للثقافة والفكر وملجأ للفقهاء والمحدثين ، ومأوى للأدباء واللغويين ، وقبلة العالم ترنو إليه الأبصار والأفئدة ، حتى بات العراق مهد الحضارة العربية الإسلامية ، وإن لم تنشأ الحركة العلمية والفكرية بشكل مفاجئ ، فإنها كانت حصيلة تطور دور العلم البسيطة إلى المؤسسات التعليمية ذات الاتجاهات المختلفة[2] ، ومن أهم تلك الدور أو المؤسسات هي :

أ) الكُتــاب :

كان الكتاب من أشهر أنواع المعاهد التعليمية وجوداً في العالم الإسلامي ، وقد اشتق من التكتيُب والكتاب موضع تعليم وكتابة[3] ، وجمعه الكتاتيب والمكاتب[4] ، توجد الكتاتيب في المسجد ؛ أو قريبة منه ؛ أو ملحقة به ، ثم نهى المسلمون عن اتخاذها بالمساجد حرصاً على نظافتها ، ويجب أن يتصف مؤدب أو معلم الصبيان ، ببعض الشروط الأخلاقية والاجتماعية والعلمية ، كأن يكون صحيح العقيدة ، متديناً ، عاقلاً ، من حملة كتاب الله ، عالماً بالقراءات ، صالحاً لتعليم القرآن والحديث والخط والآداب ، ويشترط عليه الترفق بالأولاد ، وأن يعلمهم السور القصيرة من القرآن الكريم بعد حذاقتهم بمعرفة الحروف ، وضبطها بالشكل، وكيفية الوضوء والصلاة وتجويد القرآن[5] ، وإذا تم الصبي حفظ القرآن ، تقام له حفلة بهيجة مثل : حفلة (ختم البقرة) وهي عبارة عن حفلة عامة تقام بالمساجد تضاء لها الأنوار ويحضرها الناس عامة ، ثم يعرفهم أصول الحساب، وما يستحسن

1- علي حسن الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص ص 238 – 239 .
2- أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1975 م ، ص ص 182 - 184 ، كذلك قحطان عبد الستار الحديثي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 116 .
3- الرازي ، المصدر السابق ، ص 562 .
4- ابن منظور ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 699 ، كذلك الرازي ، المصدر السابق ، ص 562 .
5- أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، بيروت ، 1954 م ، ص ص 45 – 46 .

من المراسلات ، وإجادة الخط ، وحفظ ما أملاه عليهم ، ويضربهم على إساءة الأدب ، والفاحش من الكلام[1] .

لـــذا تعد الكتاتيب المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الصبية مبادئ القـــراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وتعدهم إلى مرحلة التعليم في المسجد[2] ، وتعد البصرة والكوفـة من أهم مراكز تعليم الصبية في القرنين الأول والثانـي للهجـريين (السابع والثامن الميلاديين) ، وانتشرت في أرجائه هذه النوعية من المؤسسات الثقافية[3] .

ب) المساجد :

يعد المسجد المركز الرئيسي لنشر الثقافة العربية الإسلامية ، ولعل السبب في جعله مركز ثقافي؛ هو شرحه لتعاليم الدين الجديد ، فهو مكاناً للعبادة ؛ ومعهداً للتعليم ، وبفضله تعرف الفرس في العراق على الأفكار الدينية الجديدة ، حيث كانوا يتلقونها باللغة العربية الفصحى ، كما تعرفوا على تراث العرب الفكري ، خاصة التراث الأدبي ، وكان المسجد داراً للقضاء ، وساحةً تتجمع أمامهـــا الجيـــوش ، ومنزلاً لاستقبال السفراء ، وفيه تؤخذ البيعة للخلفاء[4] ، وقد أدت المساجد العراقية قسطاً كبيراً في نشر العلوم والمعارف .

لذا أصبحت من أكبر المعاهد العلمية ، لتعليم علوم الدين واللغة ومراكزاً للتأليف ، ويقوم مسجدا البصرة والكوفة مقام المدارس والجامعات في العصور الوسطى ، حيث تقام فيهما حلقات الدرس والمناظرة حول أعمدة الجامع ، حيث يجلس الفقهاء والقراء ويلتف حولهم الطلبة والتلاميذ ، لتلقي الدروس في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، واللغة والشعر الجاهلي ، وتنسب هذه الحلقات إلى أستاذها وتكون أبواب المناقشة مفتوحة للجميع لمن يشـاء السـؤال أو المقاطعـة - مما دفع الأساتذة للإعداد المتقن في دروسهم والتعمق فيها[5] – فلم تكن عليها أجور مادية ،

1- ناجي معروف ، أصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، لبنان ، 1975 م ، ص 469 .
2- بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2002 م ، ص 254 .
3- قحطان عبد الستار الحديثي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 119 ، كذلك خليل إبراهيم صالح السامرائي ، الملامح السياسية والحضارية لمدينة البصرة من خلال كتاب ألف ليلة وليلة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 34 1407 هـ - 1987 م ، ص 210 .
4- أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 84 .
5- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ، الأدب المغربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1969 م ، ص 71 ، كذلك ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص 469 .

ولا قيود تنظم طريقة الدراسة وساعاتها ، أو سن من يشارك فيها ، ولم يشترط لها مكان معين ، فقد تكون في البيـــوت ، أو في المساجد ، أو الساحات ، أو في غير أماكن الاجتماعات العامة ، كما كانت توفر مجالس أوسع للتجمع والبحث والمعرفة، وأبرز هذه الأماكن هي المسجد الجامع ، وساحة السوق[1] .

1- جامع البصرة :

خططه وبناه (عتبة بن غزوان)[2] من القصب في عصر الخليفة عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - (13-23هـ/634-643 م)[3] ثم أتم بناؤه أبو موسى الأشعري وزيد في عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-61 هـ/661– 679 م) سنة (44هـ/664 م) من الأجر والجص وسقفه بالساج[4] .

يعد جامع البصرة من أهم مراكز الالتقاء الفكري والثقافي ، فالمسجد الجامع تاريخيا ، هو أهم خطة طوبوغرافية في المدينة وأقدمها ، لأنه يحتل موضعا وسطا فيها ، وتحيط به الأسواق وتتفرع منه الشوارع الرئيسية والأزقة ، لذلك صار مدرسة جامعة لنشر العلم والثقافة[5] ، فبعد كل فريضة كان العلماء والنحاة والمحدثون والمفسرون والمتشوقون للعلم والمعرفة ، يلتقـــون حول كل اسطوانـــة من (أساطينه)[6] ، وفي كل ركن من أركان المسجد الجامع حلقة يلتف فيها الطلبة حول شيخ البصرة وعالمها الجليل الحسن بن يسار بن أبي الحسن البصـــري[7] (ت 109 هـ/727 م)[8] ، وقد عنيت حلقته بتدريس التفسير والحديث والفقه بشكل

1- صالح أحمد العلي ، الأمصار العربية في العراق الكوفة والبصرة في العصور الإسلامية الأولى ، المدينة والحياة المدنية ، نخبة من أساتذة التاريخ ، ج3 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1988 م ، ص 64 .

2- توفي سنة 17 هـ/638 م = أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، تقديم إبراهيم بيضون دار إقرا ، بيروت ، 1992 م ، ص 360 .

3- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص 119 ، 146 .

4- السيد عبد العزيز سالم ، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999 م ، ص ص 330 - 331 .

5- عبد الجبار ناجي ، أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة ، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة ، الجمهورية العراقية ، مج 18 ، العدد 2/1 ، 1986 م ، ص 64 .

6- أساطينه : هي الأعمدة = البلاذري ، المصدر السابق ، ص 468 .

7- أحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، الطبقات الكبرى ، مج7 ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418 هـ/1997 م ، ص ص 114 - 132 .

8- أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ابن حوقل، صورة الأرض في الطول العرض ، دار مكتبة الحياة، لبنان (د.ت) ، ص 212 .

خاص[1] ، وفي الوقت ذاته يكون في الجانب الأخر من الجامع حلقة حول إحدى اسطوانته يتصدرها العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت 174 هـ /790 م) وهي حلقة مستقلة تعنى باللغة والعروض والنحو ،[2] كما يضم المسجد الجامع أيضا حلقات لعلم الكلام والفلسفة ، تصدر إحداها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد[3] .

كان واصل (ت 131 هـ/748 م) في بداية نشأته الثقافية تلميذا يتردد على حلقات الحسن البصري ، إلى أن اعتزلها وكون حلقة مستقلة ، وقد التحق بهذه الحلقة الثقافية التي تدور محاورها على الفلسفة ، وشؤون العقل، عمرو بن عبيد (ت 144 هـ/761 م) ، وصارا فيما بعد من بين مؤسسي الاعتزال في المدينة[4] ، وفي المسجد الجامع بالبصرة حلقات أخرى ، هي حلقات الوعظ والقصص ، وكانت هذه الحلقات تنعقد ، فيقص القصاص على الناس أخبار الأنبياء ، وسيرة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وأخبار الخلفاء ، ويجعلون للقرآن والأحاديث في قصصهم نصيبا ، فيفسرون ، ويحدثون[5] ومن أشهر القصاصين الذين عرفهم الدارسون بمسجد البصرة ، الفضل بن عيسى الرقاشي (ت 140هـ/757 م)[6]، وعمرو بن قائد الأسواري (توفي بعد 200هـ /815 م)[7] ، لهذا ذاعت شهرة هذه الحلقات بالمدن والأمصار الإسلامية ، وأصبحت تشد إليها الرحال لسماع العلم وأخذه من أفواه علماء الدين والحديث والتفسير .[8]

وهكذا أخذ المسجد يتحول أيام الأمويين إلى معهد ضخم تروى فيه الأحاديث ، ويفسر فيه القرآن وتقص فيه القصص ، وتعقد به المناظرات ، وتسرد فيه الأخبار ، فصار بذلك أهم مركز بالعراق كله[9]، وفي الوقت الذي صار فيه المسجد الجامع ، أول وحدة عمرانية تأسست في البصرة ، ومركز إشعاع ثقافي

1- عبد الجبار ناجي ، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي ، مطبعة دار الحكمة ، البصرة ، 1991 ، ص 17 .
2- أبن حوقل ، المصدر السابق ، ص 212 ، كذلك أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 185 .
3- أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971 م ، ص 40 .
4- مهدي المخزومي ، عبقري من البصرة ، دار الرائد العربي، بيروت ، 1406 هـ/ 1986 م ، ص 14.
5- المرجع نفسه ، ص 15 .
6- خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج5 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 2005 م ، ص 152 .
7- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 83 .
8- خضر أحمد عطا الله ، بيت الحكمة في عصر العباسيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، ص 95 .
9- أحمد كمال زكي ، المرجع سابق ، ص 40 .

مهم فيها ، خلال الفترة المبكرة من تأسيسها ، كـــان (المربد)[1] ـ ضاحيـة مـن ضواحي البصرة في الجهة الغربية منها ، مما يلي البادية ، بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال[2] ـ يمثل مركزاً ثقافياً آخر لا يقل أهمية عن المسجد الجامع ، بحيث طغى على اسم البصرة ، فصارت تعرف بسوقها[3] .

كان المربد مركزاً سياسياً وأدبياً أيضاً في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ، حيث نزلت فيه السيدة عائشة أم المؤمنين (ت 58 هـ/677 م)[4] بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (ت 35 هـ/655 م)[5] ـ رضى الله عنه ـ تطالب بدمه وتؤلب الناس على علي ـ كرم الله وجه ـ كما أصبح مثابة للخطباء والشعراء ، تلقى فيه الخطب ، وينشد فيه الشعر ، حيث أن شعراء البادية وشعراء الحضر (المولدون) يتوافدون عليه في المواسم ، ويتناشدون فيه الأشعار ، ويتفاخرون بمآثرهم ، وأحسابهم ، وأنسابهـم ، ولم تزل العصبيات القبلية تقد في نفوس الشعراء شاعريتهم ، لتنفث قصائد لاهبة[6] ، كما حدث لشعراء الهجاء[7] ، (جرير)[8] ، و(الفرزدق)[9] ، و(الأخطل)[10] ، كان لكل منهم حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون[11] .

أصبح المربد مع مرور الوقت غرضاً يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذون بهم ويسيرون على منوالهـم ،

1- هو كل شيء حبست به الإبل والغنم ، وسمي بذلك لأنها الموضع الذي يباع فيه التمر ، أو المكان الذي يجفف فيه التمر لينشف = ابن منظور ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 171 .

2- محمد عبد المنعم خفاجي ، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، دار الجيل ، بيروت 1990 م ، ص 45 .

3- عبد الجبار ناجي ، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي ، ص 18 .

4- الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 240 .

5- السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص 170 ، 178 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق، ج4 ، ص 210 .

6- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2000 م ، ص 80 .

7- مهدي المخزومي ، المرجع السابق ، ص 19 .

8- أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة الملقب بالخطفي ، ولد باليمامة 23هـ/643 م ، وتوفي 114هـ /732م = حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، مج1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م ، ص ص585 - 586 .

9- أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ، ولد بالبصرة 20هـ/640م ، وتوفي 114 هـ/732م = أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج1 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م ، ص 191 .

10- أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت من جشم بن بكر من تغلب ، ولد في الحيرة 20هـ/640م ، وتوفي سنة 92هـ/710م = حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، مج1 ، ص ص 564 - 565 .

11- الجاحظ ، البيان والتبيان ، ج3، القاهرة ، 1948 م ، ص 323 .

والنحويون يخرجون إليه يسمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، والأدباء يأخذون الأدب : من جمل بليغة وشعر رصين وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم[1] .

صار الكثير منهم يتلقون الفصاحة من العرب شفاها بالمربد ، ومن بين أولئك ، عبد الله بن المقفع (ت 142 هـ/759 م)[2] وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ/868 م)[3] ، ولا شك أن للمربد يدا فيما بلغاه من فصاحة ومنطق ، وجزالة الأسلوب[4] .

أصبح الدارسون لا يدعون فرصة تفوتهم في مواسم المربد ، فكانوا يذهبون إليه للقاء الأعراب الوافدين ، فيسمعون منهم ، ويتلقون عنهم ، وينقلون أخبار البوادي وأشعار البدو ، وما يتصل بهذا من أحاديث العشق ، وحكايات اللصوص، ومواقف الفرسان ، ويرجعون وفي جعبتهم كل ما كان يطمح إليه تلاميذهم ، والآخذون عنهم ، ويعرضون ذلك كله في مجالس الأمراء والخلفاء ، ومن شدة تعلقهم بالمربد نسب نفر من العلماء والرواة والمحدثين والقضاة إليه ، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر ، سماك بن عطية المربدي البصري ، وأبو الفضل عباس بن عبد الله ابن ربيعة المحدث ، وأبو عمرو القاسم بن جعفر القاضي[5] .

لم يطل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي على البصرة ، حتى أصبحت مثابة للدارسين ، ومقصدا لطلاب العلم من سائر الأفاق ، ومفخرة من مفاخر العرب والمسلمين ، ومركزا ثقافيا اتسع صيته حتى اجتاز البطاح والوديان ، والجبال والبحار[6] .

1- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، ص ص81 - 82 .
2- عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1985 م ، ص 46 .
3- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم الأدباء ، ج16 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ص 144 .
4- مهدي المخزومي ، المرجع لسابق ، ص 9 .
5- عبد الجبار ناجي ، أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة ، ص 66 .
6- مهدي المخزومي ، المرجع السابق ، ص 9 .

2- جامع الكوفـــة :

يعد مسجد الجامع بالكوفة ، ثاني مسجد أقيم في العراق بعد الفتح ، حيث أمر ببنائه (سعد بن أبي وقاص)[1] ، سنة (17 هـ/638 م) ، وجدد قبلته ثم تولى (المغيرة بن شعبة)[2] ، الزيادة بالجامع والتوسع فيه ، في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ، وجدده زياد بن أبيه عـــام (50 هـ/670 م) في عصر الخليفة معاوية ابن أبي سفيان[3] ، (41 - 61 هـ/661 - 680 م)[4] .

وقد كان انتقال الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجه - إلى الكوفة واتخاذها عاصمة له أثر كبير في إذكاء النهضة العلمية فيها ، وأصبح جامع الكوفة بذلك مدرسة لقراءة القرآن وتفسيره ودراسة الفقه ، ففيه يجلس الشيوخ فيلقنون طلاب العلم القراءات التي رووها بأسانيدهم ، وظهرت فيه بوادر مبادئ الفقه المبني على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنـــة ، ومن أشهـر رجاله : سعيد بن جبير (ت 95 هـ/713 م) ، وأبو حنيفـــة النعمـــان (ت 150 هـ /767م) الذي وضع قواعد المذهب الحنفي ، وعلي بن حمزة الكسائـي (ت 189 هـ/804 م) ، ويحيى بن زياد الفراء (ت 207 هـ/822 م) أكبر نحاة الكوفة[5] .

كانت هذه المراكز الثقافية (الكتاتيب والمساجد في كل مكان من الكوفة والبصرة) القاعدة التي بني عليها الوضع الثقافي في العراق ، وبمعنى أوضح ، أصبح هذا الوضع البذور الأولى للثقافة البغدادية ، وهو الذي ساعدها على الظهور والتوسع ، بل أنها كانت بواكير الحركة العقلية في الإسلام عامة ، وفي دائرة العقائد النظرية خاصة ، فقد ظهرت بأرض العراق خاصة بمدينتي البصرة والكوفة حيث ابتدأت ثم ترسخت وتأكدت فيما بعد ببغداد [6] .

1- (23 ق هـ - 55 هـ/643 – 674 م) = الزركلي ، المصدر السابق ج3 ، ص 87 .
2- توفي سنة (50 هـ/670 م) = البلاذري ، المصدر السابق ، ص 301 .
3- المصدر نفسه ، ص ص 388 – 389 .
4- السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص 222 ، 225 .
5- أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ، كتاب البلدان ، بريل ، مدينة ليدن ، المحروســـة ، 1302 هـ ، ص ص 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 .
6- عرفان عبد الحميد فتاح ، المدرسية العراقية ، العراق في موكب الحضارة ، ج3 ، ص 177 .

ثالثاً : الأوضاع الثقافية في الأندلس قبل قيام الدولة الأموية في قرطبة

كانت أسبانيا قبل الفتح الإسلامي مقسمة إلى عدة قبائل (جرمانية)[1] ، لذا فإن الثقافة في شبه الجزيرة الإيبيرية ، كانت مقسمة حسب ثقافة كل قبيلة ، ولكن بمجيء الرومان إليها ، تم توحيدها سياسياً وثقافياً ، وانتهت بذلك الصراعات والغارات بين القبائل الرعوية والجماعات الأكثر استقراراً ، فانتشر نظام الطرق الرومانية فيها ، وذلك اعتباراً من القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي ، كما تمكن الرومان من توحيد لغات تلك الشعوب تدريجياً ، وأصبحت اللغات كاللهجات اللاتينية مشتقة بدلاً من اللغات السامية ، ليس بين المثقفين فقط بل وحتى بين الناس العامة[2] .

وعند استقرار الرومان بأسبانيا ، أصبحت هجراتهم المكثفة نحو المناطق الأكثر تطوراً فيها ، وخاصة المنطقتان الشرقية والجنوبية ، وبفضلهم انتشرت الثقافة الرومانية عن طريق الإداريين والمثقفين والجنود والتجار ، وبما أن أبناء الطبقات العليا من الأسبانيين ، كانوا يرسلون أولادهم في بعض الأحيان للتعليم في روما ، فقد أصبح هناك عدد كبير من فلاسفة وكتاب من أصل روماني أسباني بما في ذلك (Seneca) سنسا ، ولوكان (Lucan)[3] .

وخلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين انتشرت الديانة المسيحية بأسبانيا ، وتم الاعتراف بها رسمياً في بداية القرن الرابع الميلادي ، ووصل عدد معتنقيها في أسبانيا حوالي 10% من عدد السكان ومازالت تلك النسبة في ازدياد حتى صارت كل المنطقة مسيحية[4] ، إلا أن اغسطس قيصر قسمها إلى إقليمين لشذانية وباطقة ، وما لبث أن أصبحت بعد أمد قصير أحد المراكز القضائية ، أربعة في أسبانيا الجنوبية وهي قادس وإشبيلية واستجه وقرطبة[5] ، وعندما غزا الوندال والسواف والالان - قبائل بربرية من الجرمان - شبه جزيرة أيبيريا عام 409 م ،

1- هم عناصر البرابرة موطنهم الأصلي البلاد المحيطة بالبحر البلطي ، وهو أقرب إلى الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية = سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ج1 ، 1994 م، ص 78.

2- Stanley G.Payne. A history of Spain and Portgal part I U.S, University of Wisconsin, press , 1976 , p p.5-6 .

3- Stanley G.Payne, Ibid , p p.5-6

4- Stanley G.Payne, Ibid , p p.7-8

5- Levi.Provencal, LE.Spayne Musulmaneauxe Siecle Paris , 1932 , p.201

استولى الوندال على إقليم باطقة ، وامتلكوا إشبيلية وجعلوها عاصمة الإقليم ، أما قرطبة ظلت خاضعة للرومان حتى نجح (ليوفيخلد)[1] من الاستيلاء عليها سنة 568 م ، وجعلها مركزا أسقفيا[2] ، ثم أخذت قرطبة تفقد أهميتها شيئا فشيئا إلى أن أصبحت مستقر ملوك القوط ـ المدنية الملكية ـ ومقر المجلس الكنسي القوطي[3] .

وأهم ما يميز ذلك العصر ، هو أن ثقافته كانت دينية بحتة ، حيث أن التعليم يخضع خضوعا تاما لسيطرة الكنيسة المسيحية ، والتي عملت على تعليم طلابها القراءة والكتابة والفنون الأساسية التي لابد منها لفهم الكتاب المقدس[4] .

هكذا كان الوضع الثقافي لأسبانيا قبيل مجيء الإسلام ، وعندما افتتحها المسلمون (93 هـ/171 م) على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير ، بدأت تظهر ملامح حياة فكرية جديدة فيها إلا أن هذه الملامح كانت بسيطة جدا ، ولعل ذلك يرجع إلى الظروف التي أحاطت بولاة الأندلس (95-138هـ/ 713- 755 م) حيث شغلوا بالغزو فيما وراء البرتات ، ثم بالصراع بين العصبتين اليمنية والمضرية كما شغلهم عن الاهتمامات الخاصة بالآداب والفنون هو أن معظم الفاتحين كانوا من المحاربين ، وهذا وحده يكفي لتعليل انصرافهم عن الأدب والفكر، بالإضافة إلى أن أهل البلاد ـ الذين دخلوا في الإسلام ـ لم يكونوا في حاجة في أول الأمر إلى شيء ذي بال من الثقافة الإسلامية ، لأن الدخول في الإسلام لم يتطلب منهم إلا النطق بالشهادتين ، وتعلم كيفية الوضوء والصلاة[5] .

لهذا نجد أن المسلمين في الأندلس حرصوا على تحويلها إلى مدينة إسلامية ، وذلك بإنشاء مسجد جامع بسيط البناء لإقامة الشعائر الدينية فيه ، وتعليمها للمسلمين الجدد[6] .

1- قائد قوطي تمكن من طرد الوندال إلى شمال أفريقيا = سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 88 ،89 ،90 .

2- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت 1988 م ، ص 294 .

3- Stanley G.Payne, Opcit , p.8

4- سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 120-122 .

5- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص ص 79 ، 83 .

6- السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1982 م ، ص ص 32 - 33 .

وبالرغم من ذلك نجد أن المؤرخ المقري التلمساني يؤكد على أن الحركة الأدبية ونشاطها في قرطبة ، لم تبدأ إلا منذ أن دخلها الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138– 172 هـ/755– 788 م) ، وجعلها مقرا لدولة بني أمية في الأندلس[1] .

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، ج1 ، تحقيق مريم قاسم ، ويوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1995 م ، ص ص 204 ، 205 ، كذلك غرسيا غومس ، الشعر الأندلس ، تر ، الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، 1956 م ، ص 33 .

الفصـــــل الثانـي

العوامل التـي ساعدت على بـلورة الصلات الثقافية بـين بـغداد وقـرطبـة

أولا:الحياة السياسية في البلدين وأثرها على الوضع الثقافي.

ثانـياً : المؤسسات الدينـية والعلمية .

أ- المساجـــــــد .

بـ- المكتبـــــات .

ج- المدارس الإسلامية .

د- البيمارستانـــات .

هـ- الأربطـــــــة .

و- المجالس العامـــة .

أولاً : الحياة السياسية في البلدين وأثرها على الوضع الثقافي

اقتصرت الدعوة العباسية في بداية الأمر على الرضى من آل محمد ، الذين تعرضوا لبطش بني أمية ، فظهر منهم أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب زعيم (الكيسانية)[1] في عصر الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان (96 - 99 هـ /714 - 717 م)[2] ، ولكنه تنازل لمحمد بن علي عبد الله بن العباس سنة (98 هـ /716 م)[3] ، وهو الذي أمر الدعاة بكتمان الدعوة لبني العباس ، ليضمن تأييد المسلمين له ، وعدم نفور العلويين من دعوته ، وأمرهم بالتركيز على الكوفة وخراسان ، لأن بالكوفة أنصار علي كرم الله وجه وآله ، أما خراسان مقر الموالي الذين يؤيدون العلويين وينقمون على بني أمية لعدم تسويتهم بالعرب[4] ، واتخذ الإمام محمد من (الحميمة)[5] مركزا لنشر دعوته ، ومنها بدأ بإرسال الدعاة في أرجاء الدولة الإسلامية يدعون سرا للرضا من آل محمد – صلى الله عليه وسلم – أي لمن يرضى به الناقمون من أصل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو بيت يضم أبناء علي وأبناء العباس ، إلا أنه توفى سنة (125 هـ /742 م) ، وأوصى بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم[6] (125 - 131 هـ/742 - 748 م) .

ظل أمر العباسيين سرا لا يعلمه إلا النقباء من شيعتهم حتى وقع في يد الخليفة (مروان بن محمد)[7]، (127 - 132 هـ/744 - 749 م) آخر خلفاء بني

1- هي أحد أقسام بيت آل علي رضى الله عنه ، وأقوى بيوتهم ، تنسب إلى مختار عبيد الثقفي ، أو مولى علي رضى الله عنه ، يدعى كيسان = محسن محمد حسن سليم ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2004 م ، ص 10 .

2- السيوطي ، المصدر السابق ، ص 259 .

3- عز الدين أبي الحسن علي ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج5، دار صادر، بيروت، 1982م ، ص 83 .

4- شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ج3 . نشر دى غويه ، ط2 ، ليدن ، 1906 م ، ص ص 293 - 294 .

5- بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 م ، ص 353 .

6- أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج3 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987 م ، ص 254 .

7- ولد سنة 72 هـ/691 م = السيوطي ، المصدر السابق ، ص 297 .

أمية كتاب الإمام إبراهيم إلى أحد دعاتهم ، فأدى ذلك إلى سجن إبراهيم وقتله وولى بعده أخاه (أبو العباس بن عبد الله بن محمد)[1] وأوصاه بمواصلة الدعوة والسير إلى الكوفة ودخولها سنة 132 هـ/749 م ، ونادوا بأبي العباس خليفة ، وهو الذي قضى معظم حياته في إخماد ثورات أنصار بني أمية في الشام والجزيرة ، وفي البحث عن عاصمة جديدة بدلاً من الكوفة ، لأنها لم تعد صالحة كعاصمة للدولة العباسية ، وخاصة بعدما أعلنت الدعوة لبني العباس وليست لبني علي بن أبي طالب - كرم الله وجه - .

عندئذ اتخذ الهاشمية – بالقرب من الأنبار – حاضرة لدولته[2] ، وترك أمر الخلفاء الأمويين لعمه (عبد الله بن علي)[3]، وبذلك تخلصوا من نفوذ بني أمية باستثناء الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (138 - 172 هـ/755 - 788م) ، حيث تمكن من الفرار إلى المغرب[4] ، والتي كانت تحت سيطرة (عبد الرحمن بن حبيب الفهرى)[5] (129 - 138هـ/746 - 755 م) ، فاستقر الأموي الهارب هناك بين أخواله من قبيلة نفزة البربرية ، وبقى أربع سنوات يتنقل بين قبائل البربر في المغربين الأوسط والأقصى [6] .

وفي تلك الأثناء تولى أبو جعفر المنصور الحكم سنة (136- 158 هـ /753 - 774م) بعد وفاة أخيه أبي العباس ومنذ توليه الخلافة تغيرت الأوضاع السياسية في العراق وذلك من خلال قضائه على حركات المعارضة التي ظهرت ضده ومن أخطرها حركة عمه عبد الله بن علي – الذي كان يطالب بالخلافة

1- هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ولد سنة 105 هـ/723 م ، بويع الخلافة سنة 132 هـ/749م وت بمدينة الأنبار سنة 136 هـ/753 م = الحافظ ابي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج10 ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م ، ص ص 46 - 47 .

2- أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البا الحلبي وأولاده ، القاهرة ، 1980 م ، ص 85 ، كذلك الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 259 – 261، 267 .

3- تولى ولاية الشام بعد انتصاره على خليفة مروان بن محمد في موقعه الزاب (132 هـ/749 م) ، وتوفي سنة (147 هـ/764 م) = المسعودي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 302 ، كذلك أحمد مجاهد مصباح ، دراسات تاريخية في الدولة العباسية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، 1982 م ، ص 18 .

4- مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم ، مطبع ريد نير مدينة مجريط ، 1867م ، ص ص 51 - 57 .

5- استولى على حكم علي إثر انقلابه ضد حنظلة بن صفوان الكلبي = عبد الحميد العبادي ، مجمل تاريخ الأندلس ، القاهرة ، 1964 م ، ص 60 .

6- مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص ص 68، 72 .

لنفسه[1] – في حين كان مرافق الأمير عبد الرحمن خادمه بدر ، يشق طريقه عبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس في مهمة سرية أسفرت عن قيام نواة من المؤيدين لأميره تضم الموالي التابعين للبيت الأموي ، أو لمن عهد إليه الأمويون بالولاية ، وظهر هؤلاء كقوة سياسية في الأندلس عند دخول بلج بن بشر القشيري إليها ، وقاموا بدور كبير في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس ، أما عن أصولهم فإنهم ينتسبون إلى أصول مختلفة فكان بعضهم من أصول فارسية أو بربرية أو اسبانية ، لأنهم وجدوا في ولاء بني أمية الحماية ، وشرف المنزلة[2] ، ومنهم عبد الرحمن بن بخت أحد زعماء موالي المروانية ، الذي ساعد عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس دولته[3] .

كانت السلطة الفعلية في الأندلس في تلك الأثناء بقبضة (الصميل بن حاتم المضري)[4]، والذي لم يبد أي تصرف يدل على موافقته لقدوم الأمير عبد الرحمن الداخل[5] ، بينما نشطت الاتصالات في أواسط الحزب الشامي ، والذي عمل على دعوته إلى الأندلس ووصولها سنة 138 هـ/755 م ، فوجدها مضطربة متنازعة الأطراف ، بسبب تعدد الولاة عليها من قبل أمراء أفريقية ، وبفضل النزاع القائم بين القبائل اليمنية والمضرية ، فبدأ بالتخلص من أكبر زعمائها الصميل والفهري ، وتم له ذلك في معركة المصارة سنة (138 هـ/755 م)[6] ، وأصبح بذلك أمير الأندلس بدون منازع ، هذا الوضع ليس ببعيد عن العراق حيث كان الخليفة المنصور يتعرض لهجوم (الراوندية)[7] ، والتي عملت على محاصرته في قصره

1- المسعودي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 294 ،302 .

2- حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الارشاد ، القاهرة ، 1997 م ، ص ص 280 ،288 ، كذلك فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711 – 756م) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1405 هـ/1985 م ، ص ص 397 ،399 ،407 .

3- أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي، 1967 م ، ص 35 .

4- هو الصميل بن حاتم بن شمر ذي الجوشن ، تولى ولاية الأندلس وزعمة المضريين سنة 129 هـ/746م وتوفي سنة 142 هـ/759 م = أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج2 ، تحقيق ليفي برفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ، ص ص 35، 49 - 50 .

5- المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 42 - 43 .

6- أبو بكر محمد القرطبي ابن قوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، حققه وقدم له إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1982 م ، ص ص 48 - 49 .

7- هي حركة فارسية تدعو إلى تقديس الملوك ووضعهم في مصاف الالهية ، سميت هكذا نسبة إلى قرية راوند القريبة من أصبهان ، والتي كانت مهد لدعوته ، تنسب إلى أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى متوفي سنـــــة 303 هـ/915 م = أحمد بن أبي حنيفة داود الدنيوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د.ت) ، 1959م ، ص 384 ، كذلك جمال الدين الشيال ، تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993 م ، ص 24 .

بالهاشمية ، لولا جهود (معن بن زائدة الشيباني)[1] لتمكنت من قتله ، لذا بدأ بالبحث عن عاصمة بدلاً من الهاشمية[2] ، ووقع اختياره أخيراً على المكان الذي بنيت عليه (بغداد)[3] .

وواجه إضافة إلى ذلك (ثورات العلويين)[4] التي قامت ضده ، وبما أن الوضع السائد في العراق والأندلس لا يساعد على تكوين صلات ثقافية بين البلدين، وإنما عمل على وجود علاقات عدائية بينهما ، لذا بعث الخليفة المنصور (العلاء بن مغيث اليحصبي)[5] سنة (146 هـ/763 م) إلى الأندلس للتخلص من الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل ، ولكن الأخير استطاع أن ينتصر على أتباعه ويرسل برؤوسهم إليه في أحد طرقات القيروان ، فلما علم الخليفة العباسي بالأمر ذهل من جرأته ، وقال : " الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحراً "[6] ، لذا لقبه بصقر قريش[7] ، وهذا اعتراف صريح من ألد أعدائه بقوته وصلابته ، وربما أن وجود قائدين سياسيين مثلهما على مسرح الأحداث ، يؤدي إلى نوع من التنافس بينهما ، من أجل جعل إحدى المدينتين أفضل من الأخرى ، وبما أن التنافس بحد ذاته يخلق نوع من الصلات الثقافية ، نجد أن تأثير بغداد على (قرطبة)[8] واضحاً جداً في طراز البناء وهندسة البيوت فضلاً عن أنواع الأشجار نفسها التي أخذت طريقها من الشرق إلى قرطبة ، ومن الذين أكدوا على ذلك الرحالة التاجر الموصلي ابن حوقل (ت 380 هـ/990 م) الذي زارها ووصفها في كتابه صورة

1- قائد أموي تعرض لبطش الخليفة المنصور ولما علم بموقف الراوندية المعادي للإسلام حارب إلى جانب عدوه ملثما حتى لا يعرفه = عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 37 .

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، الدولة العباسية ، نهضة الشرق ، القاهرة، 1987 م ، ص ص 39- 40.

3- كلمة فارسية ، تتركب من باغ معناها بستان ، وداد تعني رجل ، وأطلق عليها العديد من الأسماء منها مدينة السلام ، والمدورة ، والمنصورة ، والزوراء ، وبدأ بنائها سنة 146 هـ/763 م ، وانتهى بنائها سنة 149 هـ/766 م = عماد الدين اسماعيل أبو الفـــداء ، تقويم البلـــدان ، دار السلطانيـة ، باريـــس ، (د.ت) ، ص ص 58 ، 298 ، كذلك أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيـــروت ، 1988 م ، ص 11 .

4- يقصد بها ثورة الشقيقين (إبراهيم ومحمد) أبناء عبد الله بن الحسن والحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه = المسعودي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 306 .

5- قائد الحامية باجة ، من قبيلة جذام اليمنية ، وباجة تقع إلى الجنوب الغربي من الأندلس في البرتغال حاليا = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 374 ، وكذلك ابن عذاري ، المصدر السابق ج2 ، ص ص 51 - 52 .

6- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ص 54 - 55 ، كذلك المقرى ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 321 .

7- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 42-48 ،59 ، كذلك مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 118 ، كذلك محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت ، 2005 م ، ص 64 .

8- مدينة قديمة البناء ، يعتقد أنها أيبيرية الأصل استنادا على عدد التماثيل البرونزية الصغيرة ذات الطابع الأيبيري ، اسمها القديم كردوبا = المقرى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 8 ، كذلك السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج1 ، ص 17 .

الأرض حيث قال : " ... أن من يسافر إليها يظن أنها إحدى جانبي بغداد ... وقرطبة إن لم تكن كأحد جانبي مدينة السلام فهي قريبة منها ولاحقة بها "[1] .

لم يحاول الخليفة العباسي منذ تلك الحادثة إرسال أي حملة أخرى للقضاء على الأمير الأموي ، بل عمل على تثبيت أركان حكمه والاهتمام ببناء مدينته[2] بغداد ، وبالمثل فعل عبد الرحمن الداخل ، حيث بدأ بإرساء دعائم إمارته في الأندلس ، إلا أن الخليفة المهدي (158- 169 هـ/774- 785 م) الذي تولى الحكم بعد أبيه ، اشترك مع الأمير عبد الرحمن الفهري وسليمان بن يقطان ابن الأعرابي – والي مدينة سرقسطة[3]– والإمبراطور شارلمان (151 – 199 هـ/ 768 - 814م)[4] أقوى ملوك أوربا في ذلك الوقت ، في مؤامرة للقضاء على الأمير عبد الرحمن الداخل عن طريق محاربته من الجهات الثلاثة في آن واحد ، وهي الساحل الشرقي للأندلس (مرسية) ، سرقسطة ، جبال البرتات ، إلا أن الرياح تهب عكس ما تشتهي السفن ، حيث استطاع الأمير الأموي مرة أخرى القضاء على هذه المؤامرة بنجاح ، وبهذا أنهى الخليفة محاولتهم لانتزاع الأندلس من الأمويين وإدخالها في دولتهم[5] .

تبدأ مرحلة جديدة من العلاقات ما بين البلدين بمجيء الخليفة هارون الرشيد للخلافة سنة (170-193 هـ/786-808 م)[6] ، وانصرافه إلى تهيئة الأوضاع السياسية في بغداد ليتسنى له بناء الوضع الثقافي فيها من خلال تشجيعه للعلماء وترجمة الكتب الفارسية واليونانية إلى العربية ، وتكوين بيت الحكمة[7] ، التي سيكون لها دورا كبيرا في إبراز الصلات الثقافية بين الطرفين فيما بعد .

بينما تولى حكم قرطبة الأمير هشام الرضا(172-180هـ/788-796م)[8]

1- ص ص 107 – 109 .
2- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 573 .
3- أحمد مختار العبادى ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 م ، ص ص 71 - 72، كذلك محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 80 .
4- سعود عبد الفتح عاشور ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 99 .
5- أحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص 90 ، كذلك محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 64.
6- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 30 .
7- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج8 ، تحقيق محمد أبو فضل ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 208 .
8- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 61 ، كذلك محمد محمد زيتون ، مسلمون في المغرب والأندلس دار الوفاء ، القاهرة ، 1984 م ، ص 271 .

والذي بدأت فيه الانعكاسات المذهبية في بغداد تؤثر على قرطبة[1] ، حيث انتشر (المذهب المالكي)[2] فيها عن طريق بغداد ، والتي ظلت على (المذهب الحنفي)[3] ثم تولى العرش من بعده الحكم الربضي سنة (180-206 هـ/796-821 م)[4] في حين أن مدينة بغداد لم تنعم بازدهار طويل ، بل تعرضت بعد عامين من وفاة الخليفة هارون الرشيد إلى التخريب والتدمير ، بسبب الخلاف الذي حدث بين الأمين والمأمون (198 هـ/813 م)[5] ، وما لبث أن تطور هذا الخلاف إلى حرب بينهما كان من نتائجها تدمير معظم أحياء المدينة المدورة وقصري الخلافة وبسبب هذه الفوضى التي حلت بالمدينة ، وتسببت في سلب الناس والاعتداء عليهم من قبل اللصوص ، وقطاع الطرق والرعاع والسوقة ، وقتل محمد الأمين ، لذا آلت أمور الخلافة إلى أخيه عبد الله المأمون[6] (198-218هـ/813-833 م)[7].

ساعد هذا الوضع الأمير عبد الرحمن الثاني على استجلاب الكتب القيمة من بغداد إلى قرطبة ، بالإضافة إلى التحف والذخائر والجواهر مثل : عقد الشهباء ، وأعلاق زبيدة بنت جعفر (أم الأمين) إلى الأندلس[8] ، الأمر الذي أدى إلى إبراز العلاقات الثقافية بين المنطقتين بشكل واضح ، هو وجود الخليفة المأمون في بغداد وتولي عبد الرحمن الثاني إمارة قرطبة سنة (206-238هـ/821-852م)[9]

1- رغم أنها كانت على المذهب الإمام أبو عمر عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ويسمى مذهب الثغور إمام أهل الشام ، بطن من حمير ذي كلاع ، ولد في بعلبك في سنة 88هـ/706 م ، وتوفي سنة 157 هـ/773 م = الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 320 .

2- نسبة إلى مالك بن أنس ، أحد أئمة المدينة المنورة ، عاصر هشام الرضا وانتشار مذهبه في قرطبة على أيدي بعض الفقهاء ، أمثال : أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي = المقرى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 328 .

3- نسبة إلى أبي الحنيفة النعمان أحد أئمة العراق = إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في أسبانيا ، دار النهضة العربية بيروت ، 1986 م ، ص 218 .

4- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ص 64-74 ، كذلك أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان ، 1956 م ، ص ص 14-18 .

5- السيوطي ، المصدر السابق ، ص 329 ، كذلك الطبري ، المصدر السابق، ج8، ص ص 472 – 496 .

6- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 136 ، كذلك مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ص 97 - 100 ، محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 122 .

7- الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 650 .

8- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 91 - 92 .

9- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 75 ، كذلك ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 80 .

فبينما عمل الخليفة العباسي السالف الذكر على النهوض بالحضارة العباسية عن طريق تجميع تراث الأمم القديمة[1] ، قام الأمير عبد الرحمن الثاني بفتح أبواب قرطبة لاستقبال التأثيرات العراقية في الفنون ، عن طريق استقدام العلماء والفقهاء[2] ، والذين سوف يأتي ذكرهم فيما بعد .

ومما يثبت ذلك ، أن الأمير عبد الرحمن الثاني قلد الخليفة المأمون في إحداث الطراز ، واتخاذ الوزراء ، وأحدث دار السكة في قرطبة ، وفي لبسه الغفارة العراقية ، والكوفية غطاء الرأس[3] ، إلا أن الوضع السياسي في كل من بغداد وقرطبة ، بدأ بالتدهور منذ تولى الخليفة المعتصم الحكم (218 - 227هـ/833-841 م)[4] ، حيث استكثر من الأتراك في جيشه الذين أساؤوا التصرف ، الأمر الذي ألزمه بناء حاضرة لهم تدعى سامراء بدلاً من العاصمة السابقة ، مما شجعهم على امتلاك الخلافة من بعده ، ولم يقتصر نفوذهم على العاصمة فحسب ، بل شمل الولايات الإسلامية الأخرى ، إذ أخذ الخلفاء يقطعونهم تلك الولايات مقابل جزية معينة يؤدونها لبيت المال ، وقد جرت العادة أن يبقى هؤلاء إلى جوار الخليفة في العاصمة ، ويرسلون من ينوب عنهم في حكم تلك البلاد[5] .

أصبح الخلفاء العباسيون ألعوبة في أيديهم حتى سنة (334 هـ /945 م) ، لا حول لهم ولا قوة ، مما أدى إلى ضعف الخلافة والحكومة المركزية في بغداد ، وبالتالي إلى وجود حركات انفصالية ونزاعات استقلالية في أطراف الدولة[6] في الوقت الذي كانت فيه قرطبة تعاني فترة من الضعف السياسي امتدت ما يقارب من ثلثي القرن (238 - 300 هـ/852 - 912 م) مزقت فيه وحدة الأندلس بسبب كثرة المتمردين ، فمنهم من كان من البربر ، أو من المولدين ، أو المستعربين ، أو

1- الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 631 ، كذلك محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 135 .
2- المقرى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 369-370 .
3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص 62-76، كذلك علي بن موسى ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ج1 ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1964 م ، ص 46 .
4- السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص 385 ،386 ،388 .
5- المسعودي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 66-68 .
6- الدولة الطاهرية في الشرق الإسلامي (205-259 هـ/820-872 م) ، والدولة الصفارية (254-290 هـ/867-903 م) . والدولة الطولونية في مصر والشام (254-292 هـ/868-905 م) . والدولة الأخشيدية (323-358 هـ/935-969 م) = أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ص 128 ، 140 ، 149 - 150 .

من العرب ، ومنها على سبيل المثال الثورة التي قادها بنو موسى ذى النون في الثغر الأدنى طليطلة ، بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط[1] حتى سميت هذه الفترة بفترة الدويلات والطوائف الأولى[2] .

ونتيجة للأحداث السالفة الذكر ، ضعفت الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة إلا أنها برزت من جديد بمجيء الأمير عبد الرحمن الثالث للحكم في قرطبة (300 - 350 هـ/912 - 961 م)[3] .

ويعد من أهم الشخصيات السياسية التي ساعدت على تكوين الصلات الثقافية بين البلدين ، نتيجة للاستقرار السياسي ، الذي عاشت فيه قرطبة في أيام حكمه ، والذي انعكس على الحياة الثقافية فيها ، حيث عمل على الاهتمام بالحركة العلمية وشجعها ، وحرصاً منه على المضي قدماً بها ؛ انتدب ابنه الخليفة الحكم المستنصر (350 - 366 هـ/961 - 976 م) لرعايتها ، فسمح له بإغداق الأموال على العلماء داخل الأندلس ، كما سمح له أيضاً بإكرام العلماء الوافدين من بغداد إلى قرطبة لينشروا فيها علومهم ، فكان من أبرزهم العالم اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالى[4] ، بينما كانت بغداد تحت سيطرة النفوذ الفارسي (دولة بني بويه)[5] منذ سنة (334 - 447 هـ/945 - 1055)[6] .

لذلك تعد الفترة من (300 - 366 هـ/912 - 976 م) من أفضل الفترات في الصلات الثقافية بين الطرفين ، ومما يؤكد ذلك تواصل الرحلات الفكرية والعلمية بين بغداد وقرطبة ، والتي لم تتوقف عند قدوم العلماء العراقيين إلى

1- شريفة محمد عمر دحماني ، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية 2006 ، ص 60 .

2- مصطفى أبو ضيف أحمد ، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (91-422هـ/710-1031 م) الدار البيضاء ، 1983 ، ص ص 129-130 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 150 ، 158- 233 ، كذلك ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ص 28 - 41 .

4- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 233 ، ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 41 ، عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق ، ص ص 79 ، 83 ، كذلك المقرى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 362 .

5- تنسب هذه الدولة إلى زعيم فارسي يدعى بهرام بن يزدجر من ملوك آل ساسان من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين = مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص 161 ، كذلك عبد المنعم الهاشمي ، موسوعة التاريخ العربي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، دار البحار ، بيروت ، 2006 م ، ص 157 .

6- علي حبيبة ، العباسيون في التاريخ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1980 م ، ص 116 .

قرطبة فحسب ، بل وتتمثل أيضا في وصول مؤلفاتهم العلمية إليها ، والتي سيأتي ذكرها في الفصل الثالث من هذا البحث .

لهذا كان لموت الخليفة عبد الرحمن الثالث أبعاد خطيرة على مستقبل النظام الأموي بصورة خاصة ، إن لم نقل المستقبل السياسي للعرب المسلمين بصورة عامة ، لأن موته يعد مؤشرا لسقوط الخلافة التي انتهت فعليا بوفاته ، لأنها ارتبطت بشخصية مؤسسها الناصر ، والذي ولدت معه مؤسسة إدارية وسياسية ، ثم أخذت تتحول تدريجيا إلى مجرد لقب رسمي ، لخليفة لا تستهويه السياسة لأن جل ما قام به الخليفة الحكم المستنصر سياسيا هو تجميد الأوضاع السياسية في الأندلس معتمدا في المقام الأول على تراث أبيه[1] .

وتعد السنوات التي جاءت بعد عام (366 هـ/976 م) فترة ركود ثقافي ، انعدمت فيها الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة ؛ لأن كلاهما كانت تعاني من اضطرابات سياسية خطيرة ، إذ أصبحت قرطبة مركزا للصراع والفتن وخاصة بعدما تولى الخلافة بقرطبة الخليفة هشام المؤيد ابن الخليفة الحكم المستنصر (366 - 399 هـ/976 - 1008 م) الذي كان صبيا في الحادية عشرة من عمره[2] ، فكان ذلك بادرة تنذر بما ستتعرض له قرطبة من اضطرابات سياسية ، حين استبد بالسلطة فيها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (366 - 392 هـ/976 - 1001 م) وابنيه ، عبد الملك المظفر (392 -399 هـ/1001 - 1008 م) وعبد الرحمن شنجول (399 هـ/1008 م)[3] ، حيث تمادى هذا الأخير وأقدم على مطالبة الخليفة هشام المؤيد بأن يوليه العهد من بعده وأن يصدر قرار خلافي بولايته[4] ، فكان من نتيجة ذلك أن عصفت بالأندلس فتنة كبرى وصراع حول الخلافة ، دام قرابة ثلاث وعشرين سنة أدت في النهاية إلى سقوط خلافة بني أمية بالأندلس (422 هـ/1030 م)[5] ، وأدت إلى قيام عصر سياسي جديد بها، وهو

1- بيضون ، المرجع السابق ، ص ص 302 – 303 .

2- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 253 .

3- عبد الرحمن محمد بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ج4 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1967 ، ص 321 .

4- أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار ، كتاب الحلة السيراء ، تقديم عبد الله كنون ، دار النشر للجامعيين بيروت ، 1381 هـ/1962 م ، ص ص 278 – 280 ، كذلك عبد الكريم التواتي ، مأساة إنهيار الوجود العربي للأندلس ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، 1967 م ، ص ص 201 – 203 .

5- خالد الصوفي ، تاريخ العرب في أسبانيا ، عصر المنصور الأندلسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ص 13 .

عصر ملوك الطوائف (422-479 هـ/1030-1086 م) ، تمزقت خلاله الأندلس إلى ست وعشرين دولة مستقلة[1] ، في حين لم تكن بغداد بأفضل حال منها فهي الأخرى كانت تعاني من سيطرة بني بويه ، الذين كانوا شيعـــة على (مذهب الزيدية)[2] ، ومن ثم سقوطها في أيدي (السلاجقة الأتراك)[3] سنة (465-485 هـ/1072-1092 م)[4] ، وبالرغم من سوء الأوضاع في البلدين ، فإن الصلات الثقافية لم تنقطع بين البلدين ، حيث أن الرحلات العلمية لم تتوقف بينهما ، فعندما تسوء الأوضاع في إحداها ، يكون هناك دافع للعلماء للهجرة إلى الأخرى ، مثلما حصل في الصراع الأمين والمأمون على السلطة في بغداد ، فكان ذلك سبباً في هجرة زرياب إلى قرطبة ، كما أن سوء الأوضاع السياسية في البلدين ، كان له أثرا ثقافيا على أوروبا ، وهو ما سيتم توضيحه في الفصلين الأخيرين من هذه الرسالة .

1- ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 25-26.

2- نسبة إلى الحسن بن علي الزيدي الملقب بالاطروش ت 917 م = مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ص 162 – 163 .

3- مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم الغزاو الأغوز ، أصلها من سهول تركستان في أواسط آسيا أما تسميتهم نسبة إلى قائدهم الذي وحدهم وجمع شملهم سلجوق بن دقاق ، دخلوا إلى بغداد سنة 447 هـ /1055 م = عصام الدين الرؤوف الفقي ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص 211 ، كذلك مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 180 ، وعبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 165 .

4- مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 180 .

ثانياً : المؤسسات الدينية والعلمية

أ) المساجد :

كان بناء المسجد في الإسلام أساس العمران بالحواضر الإسلامية ، لذا أصبح المسلمون منذ فجر الإسلام ، وفي زمن الفتوحات الكبرى يشيدون المسجد الجامع بادئ الأمر رغبة في التقرب من الله ، ولأن له دورا دينيا وسياسيا فهو مؤسسة الدعوة والحكم ، إلى جانب أنه كان أساسا لازدياد حركة البناء ، لهذا يبدأون بإنشائه قبل أي بناء آخر ، وما يلبث العمران أن ينمو حوله ، وبذلك أصبح الأساس الذي يعتمد عليه المسلمون في تحويل المدن التي افتتحوها إلى مدن إسلامية[1] .

وبما أن المساجد هي الأساس الأول للتعليم في الحضارة الإسلامية ، كان النظام التعليمي المتبع فيها ، هو نظام الحلقات حيث يتم تعليم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وعلوم اللغة ، وغيرها من العلوم الأخرى[2] ، فأصبحت المساجد بمثابة الجامعات في العصور الوسطى ، حيث كانت الشروح والمناقشات والمناظرات ، حول أعمدة المساجد ، وفيها يلقى الأساتذة الزائرون المحاضرات على المتكلمين[3] ، فصارت فرصة عظيمة للطلاب للاستماع إليهم والإفادة من علمهم ، لذا فإن كثيرا من الأساتذة الزائرين يأتون من مناطق بعيدة مختلفة من العالم الإسلامي ، إما بقصد التعليم أوالتعلم ، أو أثناء القيام برحلاتهم إلى الحج والتوقف في عدد من المساجد التي يمرون بها ، وفيها يمنحون الإجازات (الشهادات) للطلاب المتميزين حيث يتمكن الطالب بعد ذلك أن يشكل حلقة خاصة به في المسجد ويعلم غيره[4] .

واستمرت المساجد إلى جانب كونها أماكن للعبادة في تأدية دورها في نشر العلوم والثقافة بكل فروعها ، والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية المجيدة ، لذا أصبح المسجد الصورة الأولى للجامعة الإسلامية ، التي تدرس فيها

1- السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ص 375 ، 376 .
2- مفتاح محمد دياب ، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، 1992 م ، ص 35 .
3- مصطفى علم الدين ، المرجع السابق ، ص 188 .
4- مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص ص 35 – 36 .

العلوم الدينية والدنيوية ، ولا سيما المساجد الجامعة منها[1] . لذا فليس من الغريب أن يسيطر المسجد على الحياة الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية في المدينة الإسلامية ، وهذا يدل دلالة واضحة على الدور الذي لعبه المسجد في الدولة الإسلامية ، وعلى أهميته بالنسبة للمراكز العمرانية الأخرى ، وبما أنه من أهم المراكز الثقافية التي كونت الصلات الثقافية بين البلدين ، فإن الضرورة تدعو أن تكون أول المراكز الثقافية في هذا المبحث ، المساجد الجامعة ببغداد ثم في قرطبة .

1- المساجد البغدادية :

يعد الجامع الذي أسسه الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158 هـ/753-774 م) أول هذه المساجد الجامعة ، حيث بناه وسط مدينة بغداد مجاورا لقصره بباب الذهب سنة (145 هـ/762 م)[2] ، وبني باللبن على هيئة مربع ، طول كل ضلع من أضلاعه مائتا ذراع ، وفيه بيت فسيح للصلاة ، يشغل ثلث المسجد ، وفيه خمس بلاطات ، في كل منها ستة عشر عمود من الخشب ، ولكل عمود اسطوانة تاج مدورة مصنوعة من الخشب ، وبما أنه مصنوع من اللبن شيد بعد بناء القصر ، ولكي يكون وضعه متناسبا مع وضع القصر ، أصبح منحرفا عن القبلة[3] .

وبقي هذا المسجد على صورته ، إلى أن جدد بناءه الخليفة هارون الرشيد بالأجر والجص ، وزاد في نواحيه ، وأحكم بناؤه سنة 192 هـ/807 م ، وانتهى من ذلك سنة 193 هـ /808 م ، ثم زيد فيه في عصر المعتضد بالله (279 - 289 هـ/892 - 901 م)[4] ، حيث فتح الجدار الذي بين القصر والجامع ، وفرغ من بنائه ، وكانت الصلاة فيه سنة (280 هـ /893 م)[5] .

أما المسجد الجامع الثاني ببغداد الشرقية (الرصافة)[6] ، قام ببنائه الخليفة المهدي (158 - 169 هـ/774 - 785 م) في أول خلافته سنة (159 هـ/775 م)

1- مصطفى علم الدين ، المرجع السابق ، ص 188 ، كذلك مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 36.

2- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 13 .

3- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 .

4- السيوطي ، المصدر السابق ، ص 427 .

5- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 123 .

6- بناها الخليفة أبو جعفر المنصور سنة 150 هـ/768 م على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، وهي التي تكون نواة بغداد الشرقية ، ويرجع سبب بنائها إلى شغب جند المنصور ، لذا أقامها لينزل بها ابنه المهدي وجنده = اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ص 22 – 23 ، كذلك ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 604 .

بينما قام الخليفة المعتضد بالله ببناء مسجد دار الخلافة بقصره بالحسنى على نهر دجلة سنة 280 هـ/893 م ، لذا كان الناس يصلون صلاة الجمعة فيه بعد ما يؤذن لهم بالدخول ، ويخرجون عند انقضائها ، فلما استخلف الخليفة المستكفي (289-295 هـ/901-907 م)[1] أمر بأن يجعل موضع قصره مسجداً جامعاً[2] .

ويوجد في بغداد غير هذه المساجد ، ثلاثون ألف مسجداً موزع على الجانبيـن : الشرقي والغربي منها[3] ، وبما أن مدينة السلام بتصميمها ، ومساحتها لا يمكن بحال من الأحوال أن تتسع لهذا العدد ، إلا إذا وضعنا في الاعتبار بأن اليعقوبي يتكلم على المساجد وليست الجوامع ، فلا يعد هذا الرقم إذن مبالغاً فيه ، وخاصة أن المسجد الذي يعنيه اليعقوبي ربما حجرة في بعض الأحيان بقرب السوق أو كتاب يتعلم في الأطفال القرآن الكريم .

وتكمن أهمية المساجد العراقية بكونها تمتاز عن المساجد الأموية في قرطبة، بحلقات التدريس التي صار أصحابها يقسمونها إلى أصناف بحسب أماكنهم في المساجد منها : أصحاب الكراسي ، وهم القصاص ، وأصحاب الأساطين وهم المفتونون ، وأصحاب الزوايا ويعرفون بأهل العفة[4] .

لهذا أصبحت المساجد العراقية معاهد مهمة تشد إليها الرحال للدرس والتدريس ، يطمع العلماء في أن ينالوا منصبا تدريسيا فيها لمكانتها العلمية ، ومن أجل أن تحقق المساجد مطامع مريديها ، ألحقت بها مكتبة عامرة تضم عدداً وفيراً من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، لذا تسابق الناس على تزويد تلك الجوامع بالكتب ، طلباً للأجر ، وللحفاظ على الكتب من التلف[5] .

2– المسجد الجامع بقرطبة :

افتتح المسلمون بقيادة مغيث الرومي مدينة قرطبة ، واختاروا كنيستها الكبرى المعروفة بشنت بنجنت ، والتي تقع داخل المدينة نفسها بالقرب من السور الجنوبي الذي يحيط بها ، قبالة باب القنطرة ، لإقامة مسجدهم الجامع ، فشاطـــروا

1- السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص 437 ، 440 .
2- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 123 – 124 .
3- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 21 .
4- قحطان عبد الستار الحديثي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 120 .
5- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 97 .

نصارى قرطبة في هذه الكنيسة ، وأقاموا في شطرها مسجداً بسيطاً ساذج البناء أسس الحنش الصناعي قبلته بيديه[1] . فمن الطبيعي اقتناع الفاتحون بهذا المسجد البسيط ، لأنهم محاربون ووافدون على البلاد حديثاً ، وليس منهم من كان عارفاً بفن البناء بالإضافة لأنهم يجهلون مواطن الحجر ومصادر استخراج الرخام ، وغيره من مواد البناء ، وتمضي الأيام ، ويتكاثر عدد المسلمين الوافدين إلى حاضرة الأندلس بوصول الطلائع العربية المتتابعة إليها ، وبما أن الجامع لا يتسع لأعدادهم الهائلة ، أصبحوا يعلقون فيه سقيفة بعد سقيفة يستكنون تحتها ، وكان ارتفاعها يقل تدريجياً عن مستوى سطح الأرض كلما اتجهنا شمالاً ، وهو الموضع الوحيد الذي يمكن الزيادة من جهته ، لأن أرضية الجزء القبلي من المسجد ، كانت منحدرة نحو النهر ، وبما أن المسجد يحتل الجزء الشمالي من الكنيسة ، لذا من الطبيعي تعليق السقائف من الجهة الشمالية وليس من الجهة القبلية حيث يوجد المحراب[2] ، وقد سبب ذلك مضايقات عديدة للمصليين ، حتى كان أغلبهم لا يمكنه النهوض في اعتدال لتقارب السقف من الأرض .

عندما أسس عبد الرحمن الداخل دولته ، أثيرت هذه المشكلة واستفحلت وازداد تعقيدها بشكل حمله على التفكير في إيجاد حل لها مهما كلفه الثمن ، وذلك بضم الأرض التي تشغلها الكنيسة إلى الجامع ، وبناء مسجد جامع جديد يتسع لجميع المصليين ويتناسب في عظمته وروعته مع مقامه كمؤسس لدولة بني أمية في الأندلس ، فدعا رؤساء النصارى بقرطبة إلى مقابلته لمفاوضتهم في شراء نصف الكنيسة التي بقيت في أيديهم وضم أرضها إلى أرض المسجد القديم ، بمقابل السماح لهم ببناء كنيستهم شنت بنجنت خارج الأسوار التي خربها المسلمون عند الفتح[3] .

وتم الأمر على ذلك سنة 168هـ /784 م ، وادخلت أرض الكنيسة في الجامع ، وشرع في هدمها والمسجد القديم سنة 169 هـ/785 م ، وبدأ الأمير عبد

1- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 382 .

2- المقرى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 97 ، كذلك السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الأندلسية ، ج1 ، ص 315 ، والمساجد والقصور بالأندلس ، سلسلة إقرأ ، عدد 190 ، دار المعارف ، مصر 1958 م ، ص ص 11 ، 15 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 229 ، كذلك السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 384 .

الرحمن الداخل بإنشائه عام 170 هـ /786م[1] ، وجلب إليه الأعمدة الفخمة والرخام ، ولكنه توفي قبل إتمامه ، فأتمه ولده هشام وأنشأ به منذنته الأولى ، وزاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بلاطين جديدين من ناحية القبلة ، أي من الناحية الجنوبية المواجهة للنهر عام (218 هـ/833 م)[2] وجدده الأمير محمد بن عبد الرحمن وأنشأ به مقصورة فخمة حول المحراب ، وجعل لها ثلاثة أبواب سنة (250 هـ/864 م)[3] ، وفي عصر ابنه الأمير عبد الله أنشئ السباط الموصل من القصر إلى الجامع ، وهو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد كبير ، يفضي من المحراب[4] ، وجدد الخليفة عبد الرحمن الناصر واجهة الجامع ، وهدم منارته القديمة ، وأنشأ مكانها منارة أخرى تليق بجلالة الخلافة أرفع وأفخم عام (340 هـ/951 م)، وكانت منذنة الناصر مربعة الواجهات لها أربعة عشر شباكا ذات عقود ، وتحتوي على سلمين أحدهما للصعود والأخر للنزول ، وفي أعلاها ثلاث تفاحات اثنان من الذهب ، والثالثة من الفضة ، تكاد تخطف الأبصار ببريقها ، إذا أرسلت الشمس أشعتها عليها[5] .

ثم زاد فيه ولده الحكم المستنصر زيادات كبيرة ، حيث قام ببناء المحراب الثالث ، واستغرق بناؤه أربعة أعوام ، وعملت له قبة فخمة ، زخرفت بفسيفساء بديعة ، حيث أرسل قيصر قسطنطينية رومانوس الثاني (348-351 هـ/959-962 م) إلى الخليفة الحكم المستنصر صانع يتقن صناعتها[6] ، وفي أعلى عقد المحراب نقش كوفي نقرأ فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر عبد الله الحكم أمير المؤمنين ، ... مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، بعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرم ، فتم جميعها بعون الله سنة أربع وخمسين وثلاثمائة هجري (965 م) "[7] ، وفي عام 355 هـ/965 م أمر الحكم بوضع المنبر القديم

1- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 229 ، كذلك السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ج1 ، ص ص 315 - 316 .

2- المقرى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 98 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 98 .

4- أبو مروان ابن حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأندلسي ، المقتبس في تاريخ الأندلسي ، تحقيق وشرح اسماعيل العربي ، دار الأفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 م ، ص 55 ، كذلك محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1969م ؛ ص ص 445 – 446 .

5- أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مج 2 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1989 م ، ص 579 ، كذلك محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مطابع هيلد لبرغ ، بيروت ، 1984 م ، ص 155 ، المقرى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 98 .

6- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 249 ، كذلك ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 98 .

7- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 393 .

إلى جانب المحراب ، ووضع لزيادته ثمانية صناع أحكموا عمله ونقشه في سبع سنين[1] .

وكان هذا المنبر يسير على عجل ، ويوضع بعد الصلوات الجامعة في غرفة تقع خلف المحراب[2] ، وختم أعمال البناء ببناء دار للصدقة غربي الجامع ، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته ، كما أقام في ساحة الجامع أيضاً مقصورة جديدة بها قبة على الطراز البيزنطي[3] ، وأخيراً جاء الحاجب المنصور بن أبي عامر ، فزاد فيه من ناحيته الشرقية زيادة كبيرة ، تكاد تعادل مساحته الأصلية ، وروعى في إنشائه التماثيل المطابقة للصرح القديم ، وبذلك تضاعف حجم الجامع ، وبلغ عدد سواريه ما بين صغيرة وكبيرة ألفا وأربعمائة وسبع عشرة سارية[4] .

وهكذا لبث الأمراء والخلفاء عصوراً يتعاقبون في توسيع جامع قرطبة وتجميله ، حتى غدا برقعته الشاسعة ، وأبوابه البرونزية ، والتي بلغت إحدى وعشرين باباً ، ومحاربه الفخمة ، وزخارفه البديعة من أعظم المساجد الجامعة في العالم الإسلامي ، والذي ليس بمساجد المسلمين مثله بناءاً وتنسيقاً وطولاً وعرضاً[5] .

يعد هذا المسجد من أروع الأمثلة للعمارة الإسلامية والمسيحية على حد سواء ، ووصفه المراكشي بالجامع الأعظم[6] ، بينما يقول الحميري عنه إنه الجامع " المشهور أمره ، الشائع ذكره ، من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، وإحكام صنعة وإتقان بنيته ، ... حتى بلغ غاية في الإتقان "[7] .

وكان هذا الجامع ، فضلاً عن وظيفته الدينية الرئيسية كمسجد الإمارة ثم الخلافة فيما بعد ، سبباً في قدوم المسلمين إلى قرطبة لزيارته ، والاحتفال فيه

1- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 228 ،237 ،238 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ص ص 88 ، 89 .
3- ابن عذاري ،ا المصدر السابق، ج2 ، ص 248 ، كذلك ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 48 .
4- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 287 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 86 ،87 ،88 .
5- الإدريسي ، المصدر السابق ، مج 2 ، ص 575 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 89 .
6- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1419 هـ - 1998 م ، ص 270 .
7- المصدر السابق ، ص ص 154 - 155 .

بالمناسبات الدينية الهامة ، باعتباره أكبر مساجد الأندلس قاطبة ، كما وأنه يعد أعظم مركز للدراسات العلمية والأدبية في الغرب[1] ، ومن أبرز تلاميذه الراهب جيربير الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني (999-1008 م) ، حيث أتم دراسته في جامع قرطبة ، ولابد من أن كثيرين من نصارى الأندلس من أهل الذمة قد تعلموا فيه العلوم العربية ، واستعربوا أي تثقفوا بالثقافة العربية ، إذ وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مشاركة المسلمين في حياتهم رغبة في تقلد المناصب الكبرى في الإدارة ودواوين الحكومة[2] .

كانت حلقات الدرس والتحصيل ، تنظم بين أروقة الجامع في مختلف العلوم، حيث يفد إليه الطلاب المسلمون من كل البقاع لحضور حلقة الإملاء التي يدرسها (يحيى بن مالك بن عائذ)[3] ، وحلقة أبي علي القالي ـ ضيف الأندلس ، الذي سوف سيأتي ذكره في الفصل الثالث من هذا البحث ـ حيث يدرس فيها تاريخ العرب قبل الإسلام ، ويتحدث عن لغتهم وشعرهم وأمثالهم[4] ، وقد ازدهرت هذه الجامعة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حيث كانت بغداد تعاني التدهور والاضمحلال ، ولعل ذلك يعد عاملاً من العوامل الأساسية التي ساعدت على تكوين الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة ، وأصبح بقرطبة إلى جانب الجامع مساجد أخرى ثانوية بلغ عددها وفقاً لما ذكره المقري نحو ألف وستمائة مسجداً[5] ، ولم يبق من هذه المساجد سوى ثلاث مآذن ، هي أبراج كنائس سان خوان ، وسانتا كلارا ، وسانت ياجو[6] .

على الرغم من صمت المصادر التاريخية عن تلك المساجد ، فمن المحتمل أنها قامت بنفس الدور الذي قام به مسجد الجامع بقرطبة .

1- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 90 .

2- عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1986 م ، ص 292 .

3- رحل إلى بغداد وسمع بها عن جماعة من المحدثين ، ثم عاد إلى الأندلس ، بعلم عظيم لم يجمعه أحد قبله ، ولذا كان له في المسجد الجامع حلقة دراسية كل يوم جمعة ، حيث يروي فيه الأخبار والحكايات (375هـ/985م) = أبو الوليد عبد الله بن محمد يوسف ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م ، ص 444 .

4- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 8 ، كذلك محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ق2 ، ص 507 .

5- المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 79 ، 80 .

6- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 310 .

ب)المكتبات :

لعل أحد أسباب ظهور المكتبات هو ما شهدته حركة التدوين والترجمة والتأليف من نشاط واهتمام من قبل الخلفاء الأمويين ، حيث بدأ أمرها في العصر الأموي على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (ت 85 هـ /704 م) ، وما أولاها من اهتمام[1] .

ويرجع الفضل في المقام الأول للاهتمام بإنشاء المكتبات والتوسع فيها إلى خلفاء الدولة العباسية الذين اهتموا بها ، وبذلوا الأموال لتكون المكتبات مؤسسات ثقافية علمية بالمعنى الكامل ، والاهتمام بالكتب والمكتبات جاء نتيجة لتطبيق المسلمين أوامر وتوجيهات الدين الإسلامي الحنيف الذي يأمر بطلب العلم ويحض على التعلم ويمدح العلماء والمتعلمين ويجعليم في مرتبة الأنبياء ، وينفر من الجهل والجهلاء ، ويدعو إلى أن يكون المسلم طالبا للعلم من المهد إلى اللحد[2] . فالكثير من الآيات الكريمة تدعو المسلمين إلى طلب العلم والأخذ بأسبابه كقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[5] ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على طلب العلم ، كقوله صلى الله عليه وسلم " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ "[6] ، وقوله " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الملاَئِكَةَ لَتَصنَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَستَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "[7] .

1- أبو فرج محمد بن أبي يعقوب أسحق ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا، دار المسيرة، 1988 م ، ص 364 ، كذلك أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م، ص 80.

2- محمد مفتاح ديلب ، المرجع السابق ، ص ص 15 ، 16 .

3- سورة العلق ، الآيات 1-4 . 4- سورة المجادلة ، الآية 11 . 5- سورة فاطر ، الآية 28 .

6- الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، الحديث رقم 224 ، ضبط نصه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1423 هـ /2002 م ، ص 49 .

7- الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، باب الحث على طلب العلم ، الحديث رقم 3641، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2001م، ص578، كذلك ابن ماجه، المصدر السابق، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، الحديث رقم 223، ص49 .

أسست المكتبات الإسلامية من أجل نشر العلوم والمعارف بين مختلف طبقات المجتمع المسلم آنذاك ، ووفرت لمن لم تكن له قدرة على اقتناء الكتب الاطلاع على عشرات الآلاف من الكتب ، والمجلدات سواء للقراءة ، أو الدراسة ، أو لاستخدامها في التأليف والكتابة[1] ، ووجد نوعان من المكتبات الإسلامية :

1- المكتبات العامة :

كانت هذه المكتبات مفتوحة للجميع ، ولا يمنع أحد من دخولها ، والاستفادة من محتوياتها ، وبما أن الدخول إليها مجاناً ، كان العديد منها يقدم الورق والحبر والأقلام للقراء ، الذين يحتاجون إلى هذه الأدوات أو المواد ، وأصبح الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وبعض الأغنياء ، يقومون ويتنافسون على تأسيس المكتبات العامة ، إما في أماكن وأبنية خاصة بها ، أو تلحق أحياناً بمسجد ، أو مدرسة[2] ، ويمكن اعتبار مكتبات الخلفاء ، مكتبات عامة حيث أنها مفتوحة للجميع ، تقدم خدماتها للعلماء ولعامة الناس ، على السواء ، لذا اهتم بعض الخلفاء بمكتباتهم اهتماماً بالغاً ، وبذلوا لها كل ما يملكون من وقت وجهد في سبيل تنمية مجموعاتها من الكتب ، كما فعل المأمون لبيت الحكمة في بغداد ، والحكم في مكتبة الأمويين بقرطبة[3] .

وتمتاز المكتبات العامة ، بأنها منظمة تنظيما دقيقاً ، حيث كان لها موظفون يعملون على دقة أمورها ، ومشرفون لتقديم الخدمات للقراء وتوفير أسباب الراحة لهم ، ويرأس هؤلاء خازن المكتبة – أمين المكتبة – الذي يكون عادة من علماء عصره ، وبها أيضاً المناولون ، الذين يناولون الكتب للمطالعين ، ويرشدون الناس إلى مصادر المكتبة المختلفة ، وهناك النساخ ، الذين ينسخون الكتب بخط واضح وجميل ، والمجلدون ، الذين يقومون بتجليد الكتب حافظاً عليها من التمزق والتلف[4]، وصارت المكتبات تحتوي على نظام الإعارة الخارجية ، هذا النظام يمكن القراء من استعارة ما يحتاجون إليه لقاء دفع ضمان مالي للكتب بالنسبة لعامة الناس، بينما يعفي العلماء من دفع هذا الضمان، لهذا خصصت للمكتبات

1- مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 84 .
2- ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص 440 ، مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 84 .
3- المقري، المصدر السابق ، ج2 ، ص 254 ، كذلك زكريا هشام زكريا ، فضل الحضارة العربية الإسلامية على العالم، القاهرة، 1970 م ، ص ص 272 – 273 ، وعبد الكريم الثواني ، المرجع السابق ، ص 660.
4- رشيد حميد حسن الجميلي ، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، طرابلس ، 1982 م ، ص ص 213 – 214 . كذلك علي حسين الشطشاط ، الطبيب والمترجم والمذكل ثابت ابن قرة الحراني ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990 م ، ص 77 .

ميزانية خاصة تنفق منها على احتياجاتها من الكتب ، وغيرها من الأدوات والمواد الأخرى ، ورواتب العاملين بها ، وهذه الميزانية قد تكون مخصصة لها من الدولة ، أو من خلال الأوقاف التي توقف على المكتبة ، أو ما يقدمه الأغنياء والعلماء الذين يؤسسون هذا النوع من المكتبات[1] .

ومن أشهرها المكتبات العامة في بغداد مكتبات الخلفاء ، وهي التي اهتم خلفاء المسلمين بها ، وأسسوها حبا منهم في نشر العلم والمعرفة بين كافة أفراد المجتمع الإسلامي ، حتى يحصل الجميع على الكتب وينال كل فرد قسطه من الثقافة ، وقد استفاد المسلمون منها كثيرا ، ومن أشهرها في التاريخ الإسلامي[2] مكتبة (بيت الحكمة) .

أ – مكتبة بيت الحكمة :

هي مكتبة كبيرة فيها مختلف الكتب ، وسميت خزانة الحكمة ، وخزانة كتب الحكمة ، ويحيط الغموض بتأسيس هذا البيت ، فلا نعرف على وجه التحديد مكان موضعه ، وكل ما نعرفه أن الخليفة المنصور نقل الخزائن إلى بغداد بعد تشييدها ، والكتب كانت جزءاً هاماً من محتويات هذه الخزائن[3] ، وجمع فيها الكتب من مختلف أنحاء مملكته ، وأضاف إليها المصنفات التي صنفت في عهده ، والتي شجع أصحابها على تأليفها[4] ، والذي دفعه لذلك ، أنه كان عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، ملماً بعلوم مختلفة[5] ، إذن أبو جعفر المنصور هو الذي أسس مكتبة بيت الحكمة .

ولما ولي الرشيد أضاف إلى بيت الحكمة كثيراً من الكتب ، وأضاف البرامكة – وزراء هارون الرشيد – إلى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصاً الفارسية[6] ، خاصة وأن الخليفة عني بترجمة الكتب في بيت الحكمة ، فعهد إلى

1- مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 85 .

2- أطلقت على المكان الذي حفظت فيه الكتب ، والحكمة : كلمة مرادف للفلسفة = احمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، ص 64 .

3- جمال الدين أبو الحسن علي يوسف ابن القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبع في ليبزك ، 1320هـ ص 383 .

4- كتاب كليلة ودمنة ، والسند والهند ، والمقالات الأربعة لبطليموس ، والتي تم ترجمتها على يد عبد الله بن المقنع ، وجورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع ، وأبي يحيى البطريق = ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ص 273 ، 293 ، كذلك موفق الدين أبي العباس أحمد بن قاسم ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء طبعه وصححه باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1998 م ، ص 171 .

5- أبو القاسم صاعد بن أبي أحمد التغلبي الأندلسي ، طبقات الأمم ، تحقيق حياة بو علوان ، دار الطليعة ، بيروت ، 1985 م ، ص ص 63 – 64 .

6- ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ص 276 ، 354 ، كذلك شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، القاهرة ، 1975 م ، ص 112 .

الفضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية ، وإلى الطبيب يوحنـــا بن ماسويـــه (ت 243 هـ/857 م)[1] ، ترجمة الكتب الطبية القديمة التي حصل عليها عندما غزا بلاد الروم – أنقرة وعمورية – عامي 165 هـ/781م ، و190 هـ/805 م وعينه أميناً على الترجمة[2] ، وبلغ من اهتمام الخليفة بالعلم والعلماء ، أنه كان يقبل الجزية كتباً[3] ، لذا تجمع لديه عدد كبير من الكتب ، فرأى ضرورة إنشاء مكان لتحفظ فيه هذه الكتب التي جمعها ، فأنشأ بيت الحكمة ، وهو بذلك المؤسس الفعلي لهذا البيت[4] ، الذي يتكون من عدد من الحجرات والخزائن[5] ، ولا نعلم إن كان جزءاً من قصره ، أو بناية مستقلة ، أو أنها دار خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة .

هكذا كان بيت الحكمة في أول أمره مركزاً من مراكز الترجمة ، يتناسب والظروف التي أدت إلى تأسيسه ، ثم أخذ بيت الحكمة في التوسع ، وتطور زمن الخليفة المأمون ، حيث عمل على تزويده بالكتب المختلفة ، التي كانت تجلب من آسيا الصغرى والقسطنطينية عن طريق (معاهدة الصلح)[6] عام (216هـ/831 م)[7] ، التي عقدت بين الخليفة المأمون ، وبين قيصر ميخائيل الثالث[8] .

وما كان يجمعه من كنائس وأديرة السريان في بلاد الشام ، عهد بأمر هذه الكتب إلى أجل العلماء منهم : سهل بن هارون (ت 215 هـ /830 م)[9] ، ومحمد بن موسى الخوارزمـــي (ت 232 هـ/846 م)[10] ، يوحنا بن ماسويـــه (243 هـ/857 م) ، وحنين ابن إسحاق العبادي (ت 260 هـ/873 م)[11] .

1- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 231 .
2- الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 308 ، كذلك ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 118، وابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 124 ، ومحمد بن عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1962 م ، ص 210 .
3- علي عبد الله الدفاع ، موجز في التراث العربي الإسلامي ، مطبعة الرسالة ، بيروت ، 1977، ص 203.
4- أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص ص 159 – 160 .
5- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 464 .
6- التي نصت على أن يتنازل قيصر ميخائيل الثالث على إحدى محتويات المكتبات القسطنطينية إلى الخليفة المأمون = ابن النديم ، المصدر السابق ، ص 243 ، كذلك ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص 23 .
7- الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 626 .
8- ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص 23 .
9- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج11 ، ص 267 .
10- ابن النديم ، المصدر السابق ، ص 383 ، كذلك ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص 286 .
11- ابن النديم، المصدر السابق ، ص ص295- 296 ، كذلك ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص 231.

وربما يرجع سبب تطور بيت الحكمة في عصر الخليفة المأمون اهتمامه الفكري وخاصة اهتمامه بخلق القرآن وما نتج عن ذلك من انقسام وتنكيل بالعلماء ، كما وأن الخليفة نفسه ساهم في اكتساب المعرفة ، بطرق علمية حديثة غير مكتفي بما يقرأ أو يسمع[1] ، وخصص الأموال اللازمة ، لترغيب النقلة ، وحثهم على العمل في الترجمة ، فهيأ لهم رزقاً سخياً يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه من التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية ، وهكذا اجتمع في بيت الحكمة أجل العلماء والأطباء والفلكيين ، الذين ترجموا العديد من الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون ، والمعارف الإنسانية ، فحوت كل نادر وغريب ، وبلغ عدد كتبها ما لا يحصى عده ، ووجد فيها طلاب العلم والعلماء والمؤلفون خير معين وأجل مكان يطلبون منه ما يرغبون فيه من العلوم المختلفة[2] .

لذلك أصبحت أكاديمية بالمعنى العلمي الدقيق ، فيها أماكن للدرس والتأليف ، وترجمة الكتب اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية ، لتسهيل سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك ، بالإضافة لنشر العلم والمعرفة بين المسلمين[3] ، مثل معرفتهم بطول محيط الأرض – (بفضل أبناء موسى شاكر)[4] – عن طريق قياس دائرة نصف النهار في صحراء (سنجار)[5] ، وكان تقديرهم لها قريباً من الطول الحقيقي للأرض ، وعلمهم بعلم الجبر والمقابلة الذي ابتكره الخوارزمي[6] ، كما يعود الفضل إلى هذه الأكاديمية في تصويب النظريات القديمة الخاطئة مثل : نظريات بطليموس[7] .

تعد دار الحكمة عاملاً مهماً في تكوين الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة، بل أنها من أبرز المراكز التي ساعدت على ذلك ، حيث جذبت إليها العلماء من كل مكان ولاسيما من قرطبة ، ليطلعوا على ما فيها من نفائس ومخطوطات قيمة ، بالإضافة لرغبتهم في الاستفادة من العلماء والأطباء والفلاسفة الموجودين فيها ، فهي دار يقصدها طلاب العلم والمعرفة[8] .

1- زكريا هشام زكريا ، المرجع السابق ، ص ص 272 – 273 .
2- أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج1 ، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م ، ص ص 466 – 467 .
3- رشيد حميد الجميلي ، المرجع السابق ، ص 209 .
4- هم علماء في الحيل والفلك ، وهو أحمد ومحمد والحسن = أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن ، ج5 ، بيروت ، 1978 م ، ص ص 161 – 163 .
5- مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر جار = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 297 .
6- محمد عبد الرحمن مرحبا، الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، بيروت، 1970م، ص ص304–305.
7- حيدر بامات ، إسهام المسلمين في الحضارة الإسلامية ، تر ، ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت ، ص 99 .
8- ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص 117 .

ب- مكتبة قرطبة :

عمل أمراء بني أمية وخلفاؤهم على تشجيع العلوم والآداب ، وجمع الكتب ، حيث بدأت هذه النزعة الأموية منذ عصر عبد الرحمن الداخل ، وفي عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ، بدأ دخول الكتب إلى الأندلس ، وذلك عن طريق إرسال الخبراء المتخصصين للبحث عنها والتماسها وشرائها ، ومن هؤلاء المتخصصين ، عباس بن ناصح الجزيري ، الذي جلب كتاب السند هند من المشرق إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط[1] .

كانت هذه هي البدايات الأولى ، لظهور المكتبة الأموية في قرطبة ، إلا أن إنشاؤها يرجع إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وإلى شغفهما العظيم بجمع نفائس الكتب من سائر الأفاق ، وهذا الشغف كان له أكبر الأثر في ملء خزائن الأندلس بنفائس الكتب من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، حتى أن قيصر القسطنطينية (قسطنطين السابع) (301 – 348 هـ/ 913– 959 م) أرسل إليه سفارته الشهيرة سنة (336 هـ/947 م) حرص فيها على أن يهديه كتابين من ذخائر الأقدمين[2] ، هما كتاب (ديقسوريدس)[3] عن الحشائش ، وهو مكتوب باللغة اليونانية ، والثاني نسخة من تاريخ أورسيوس (هروسيس)[4] مكتوبة باللاتينية ، وهو المتضمن لتاريخ العالم القديم[5] .

ولما توفي الخليفة الناصر ، عنى ولده الحكم بجمع كتب القصر وتنظيمها ، لتكون البداية الحقيقية لوجود المكتبة الأموية في قرطبة ، وقد أشار ابن حيان مؤرخ الأندلس – والذي عاش قريباً من عصر الحكم – إلى صفاته العلمية ، وتقدمه في العلوم الشرعية ، وعنايته بتحقيق الأنساب ، وتأليف قبائل العرب ، واستدعائه

1- ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 45 .

2- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 254 ، كذلك عبد الكريم التواتي ، المرجع السابق ، ص 660 .

3- ديسقوريدس ، طبيب ، كيمياني يوناني ، أصله من كليكية بآسيا الصغرى ، وقد عاش في القرن الأول الميلادي ، واشتهر بكتابه عن مركبات الأدوية = محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق2 ، ص 453 .

4- باولوس أورسيوس ، مؤرخ أسباني (قوطي) عاش في القرن الخامس الميلادي ووضع باللاتينية تاريخاً للخليقة في عصره ، اشتهر بتاريخه بالرغم من ركاكته وكثرة خرافاته ، حيث انتفع به كثير من المؤرخين اللاحقين ونقلوا عنه ، ويعرف كتابه بالرواية الإسلامية بهروسيس أو هرشيوش = المرجع نفسه ، ق2 ، ص 453 .

5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 54 ، كذلك إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، لبنان ، 1996 م ، ص 47 .

لرواة الحديث من جميع الأفاق ، وإيثار مجالسه بالعلماء وشغفه بجمع الكتب بصورة لم يسمع بها[1] ، ويشاطره هذا الإعجاب معاصره الفيلسوف ابن حزم ، في صفات الخليفة الحكم العلمية ، ويذكر لنا في أكثر من موضع في مؤلفه جمهرة أنساب العرب ، أنه ينقل من خط الحكم[2] .

وبما أنه بلغ مبلغاً في اقتناء الكتب والدواوين ، وإيثاره للعلم ورغبته في طلبه ، عمل على إرسال عطايا إلى أكابر العلماء المسلمين من كل قطر ، للحصول على النسخ الأولى من مؤلفاتهم ، ومن ذلك أنه بعث إلى أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار من الذهب ، ليحصل منه على نسخة من كتابه (الأغاني) ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة ، قبل أن يحصل عليه أحد في بغداد أو ينسخه أحد منهم ، وأرسل إليه أبو الفرج أيضاً – وهو ممن ينتمون إلى المروانية من بني أمية – كتاباً ألفه في أنساب قومه بني أمية ، يشيد فيه بمجدهم ومآثرهم ، فجدد له الحكم الصلة الجزيلة ، وفعل مثل ذلك مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي ، إذ بعث إليه بمبلغ جليل ليحصل على النسخة الأولى من شرحه لمختصر ابن عبد الحكم واسبغ رعايته على اللغوي الكبير أبي علي القالي ، وقربه إليه ، وألف كتبه تحت كنفه[3] . وأهدى إليه أبو عبد الله الخشني بعض كتبه ومنها كتاب (القضاة) أو (قضاة قرطبة)[4] .

كما أهدى إليه كثير من علماء العصر مؤلفاتهم ، تيمناً برعايته للعلم والعلماء، لذلك أصبح للحكم طائفة من ميرة الوراقين بسائر البلاد ، ولاسيما في بغداد والقاهرة ودمشق ، ينقبون له عن الكتب ، ويحصلون منها على النفيس والنادر ، بالإضافة إلى طائفة أخرى من البارعين في نسخها، وتحقيقها، وتجليدها ، وتصنيفها ، وبذل في هذا السبيل من الجهود والأموال ما لم يسمع به ، واجتمع لديه من نفائس الكتب في مختلف العلوم ، ما لم يجتمع لأحد قبله ، وبما ضاق بها قصر الخلافة ، عن استيعاب العدد العظيم[5] – والذي يقدره المقري بأربعمائة ألف

1- نقلا عن المقري، المصدر السابق، ج2، ص54 ،كذلك إحسان عباس، المرجع السابق، ص ص 68،160.

2- القاهرة ، 1948 م ، ص ص 281 ، 282 ، 292 ، 374 ، 375 ، 384 ، 398 " وقد وضع الحكم بالفعل كتابا في أنساب الطالبين والعلويين القادمين إلى المغرب " = المقري ، المصدر السابق، ج2 ، ص 79.

3- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 371 .

4- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق2 ، ص 505 .

5- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 92 ، كذلك أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر ، حسين مؤنس ، القاهرة ، 1955 م ، ص 65 .

مجلد[1] ــ من الكتب الواردة إليه باستمرار ، وبلغ عدد فهارسها أربع وأربعون فهرساً ، في كل فهرس خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الكتب[2] .

لذلك أنشأ الخليفة الحكم على مقربة من القصر صرحا عظيما خاصا بالمكتبة ، تفنن المهندسون في ترتيبه وتنسيقه وإنارته ، وعهد بإدارة المكتبة إلى أخيه عبد العزيز[3] ، بينما أسند مهمة الإشراف على كل قسم منها لأمين مختص ، مثلما قام الطبيب (أحمد بن يونس الحراني)[4] ، الذي تولى مهمة الإشراف على خزانة الكتب الطبية[5] ، ولكن هذه المكتبة العظيمة التي جهد الخليفة الحكم في تكوينها لم تلبث أن تعرضت للحرق ، حيث قام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، بحرق كتب الفلسفة والفلك والكيمياء ، أمام الناس مرضاة منه لفقهاء قرطبة، الذين كانوا ضد حرية الفكر التي عرفتها قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وبعد وفاة المنصور أخرجت الكتب الباقية وبيعت ، ونهب ما تبقى من ذلك عند دخول البربر إلى قرطبة سنة (400 هـ/1009 م)[6] .

وبالرغم من ذلك كله ، كان لهذه المكتبة أثرا كبيرا في تكوين الصلات الثقافية بين البلدين ، بفضل ما تحتويه من الكتب القيمة ، خاصة أنها ساهمت في إبراز أهمية العلماء البغداديين وما ألفوه بقرطبة ، كما أنها شجعت العديد منهم ، للقدوم إليها والاستفادة من علمهم ومؤلفاتهم .

2- المكتبات الخاصة :

المكتبات الخاصة هي التي يملكها الأفراد في بيوتهم ، ويكون استخدامها مقصورا عليهم ، أو على بعض أصدقائهم أو أفراد أسرهم ، لذا حرص معظم المسلمين على اقتناء مجموعات كبيرة من الكتب خصوصا الأمراء والوزراء

1- المصدر السابق ، ج1 ، ص 184 .
2- مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 89 .
3- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 92 ، كذلك انخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 65 .
4- سوف يأتي التعريف به لاحقاً في هذا الفصل .
5- أبو داود سليمان بن حسان ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م ، ص 112 – 113 .
6- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2 ، ص ص 292 – 293 ، كذلك السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج2 ، ص 162 ، أنخل بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 65 .

والأغنياء والعلماء وغيرهم ، ممن كانت لهم قدرة على شراء الكتب[1] ، وعلى الرغم من أن هذه المكتبات تخص كما ذكرنا أفرادا معينين بذلوا أموالهم في سبيل تأسيسها والاستفادة من العلوم التي احتوتها كتبها ، فإن كثيرين منهم فتحوا أبوابها للجمهور ولعامة الناس ممن يرغبون في التزود بالمعارف والعلوم المختلفة ، لذا أطلق عليها اسم الدار أو الخزانة[2] .

وبما أن خزائن الأشخاص كثيرة ومتفرقة ، سنذكر بعض منها ، خاصة التي شجعت على قدوم العلماء في بغداد أو في قرطبة ومن أشهرها :

أ- دار العلم بالكرخ :

أنشأها ببغداد بجانب الكرخ الوزير سابوربن أردشير ، المتوفي سنة (1025/416 م) في عصر بن بويه سنة (381 هـ/991 م)[3] . وأوقف عليها أوقافا كثيرة وجلب إليها الكتب المختلفة ، بلغت حوالي عشرة آلاف مجلدا أغلبها بخط أصحابها[4] ، لذا قصدها العلماء والأدباء من كل مكان للإطلاع على كتبها والتزود من علمها ، والاستفادة من محتوياتها في مختلف العلوم والمعارف ، وكان المؤلفون يسعون إلى إيداع نسخ من مؤلفاتهم فيها ، ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري[5] (ت 449 هـ / 1057 م)[6] .

ب- خزانة غرس النعمة الصابي :

تقع في الجانب الغربي من بغداد ، وقد بناها أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت 480 هـ/1087 م) ، وكان من المحبين للعلم والتأليف كأبيه هلال مؤلف (كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) ، و(رسوم دار الخلافة)[7] ، ولعل الذي دفعه إلى إنشاء هذه المكتبة هو احتراق دار العلم بالكرخ عام (450 هـ /1058 م) ، فنقل إليها نحو ألف كتاب في فنون العلم[8] .

1- آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، العاشر الميلادي ، مج1 ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي وريده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1948 م ، ص ص 329 – 330 .

2- مفتاح محمد دياب ، المرجع السابق ، ص 85 .

3- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 534 .

4- أبو فرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامام ، ج8 ، حيدر أباد ، 1357هـ ، ص 22 ، كذلك ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 350 .

5- ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص 459 .

6- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 5 .

7- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج12 ، ص 134 .

8- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 22 .

ج- خزانة الواقدي محمد بن عمر :

عالم بالمغازي والسير والفتوح ، ولي القضاء في عصر المأمون ، بمعسكر الخليفة المهدي أي جانب الرصافـــة (ت 207 هـ/822 م) ، وكانت له خزانة كتب فيها ألف تصنيف ، حيث يذكر (الخطيب البغدادي)[1] ، أنه عندما انتقل من الجانب الغربي إلى الرصافة حمل كتبه على مئة وعشرين جمل ، كما ذكر (ابن النديم)[2] ، أنه خلف بعد وفاته ستمائة كتابا ، حيث كان له غلامان يكتبان في الليل والنهار .

د- خزانة الندي :

التي بناها يعقوب بن إسحاق ، فيلسوف العرب الشهير (ت 246هـ/860م)، وقد دونت مؤلفاته في الطب ، والفلسفة ، والنجوم ، والحســاب ، والهندسة ، والمنطق ، والموسيقى[3] .

أما بالنسبة لقرطبة فقد اهتم الكثير من العلماء ، بإنشاء مكتبات خاصة بهم زاخرة بنفائس الكتب ، ومن أشهر هذه المكتبات ما يلي :

و- مكتبة عائشة بنت أحمد بن قادم :

التي تعد من أبرع نساء عصرها ، علماً وأدبـا ، وشعراً ، لذا فإن خزانة كتبها من أغنى وأقيم المكتبات الخاصة[4] .

هـ - مكتبة القاضي أبي المطرف :

قاضي الجماعة في قرطبة (ت 402 هـ /1010 م) ، وقد جمع فيها من الكتب في مختلف أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل زمانه بالأندلس ، وكان لأبي المطرف ستة وراقين ينسخون له الكتب بشكل دائم ، من شدة إعجابه بالكتب نجده لا يعيرها إلى أحد ، وما أن علم بوجود كتاب جيد عند أحد من الناس طلبه منه ليشتريه ويبالغ في ثمنه ، وإذا سأله أحد من الناس وألح عليه في استعارة كتاب أعطاه لأحد الناسخين فينسخه ويعطيه للمستعير ، وبعد وفاته اجتمع أهل قرطبة لبيع مكتبته فأخذت عاماً كاملا ، وجمعوا من ثمنها أربعين ألف دينار[5] .

1- المصدر السابق ، ج3 ، ص 5 .
2- المصدر السابق ، ص 98 .
3- المصدر نفسه ، ص ص 255 ، 261 .
4- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق2 ، ص 506 .
5- محمد مفتاح دياب ، المرجع السابق ، ص ص 90 – 91 .

ج) المدارس الإسلامية :

بعد أن كثرت حلقات الدرس والنقاش في المسجد ، حتى كاد أن يفقد مكانته الدينية (العبادة والوقار) ، بدأ المسلمون في البحث عن بديل له بذلك ظهرت المدارس بعد الكتاتيب والمساجد ، وأصبحت مكانا للعلم ، يتعلم فيه الفرد كافة العلوم والأمور الدنيوية بالدرجة الأولى[1] .

يعد ظهورها في العصر الإسلامي ، أهم محاولة لتنظيم الدراسة واستمرارها وتوفير مكان خاص بها ، أما عن النظام المتبع عند بناء مدرسة ، فهو جعل ساحة أو رحبة أو فناء واسع يعرف بالصحن تبنى فيه حجرات في الطابق السفلي وغرف في الطابق العلوي ، وهناك مدارس معلقة أي مكونة من طابق واحد فقط[2].

كما ألحقت بها مكتبة يستخدمها طلاب العلم والأساتذة في البحث والدراسة والتحصيل ويعتمدون عليها في الاستزادة من العلوم ، وقلما خلت مدرسة من مكتبة بها مجموعة من الكتب الصغيرة أو الكبيرة ، تبعاً لمكانة المدرسة ، ومقدار ما يعود عليها من مال الوقف الموقوف عليها من الدولة أو مؤسس المدرسة أو صاحبها[3] ، ومن أشهر هذه المدارس :

1- المدرسة النظامية :

تعد أول مدرسة أنشئت في الإسلام كمبنى ، ويرجع الفضل في إنشائها إلى الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت 485 هـ/1092 م) ، الذي شرع في بنائها سنة (457 هـ /1064 م) ، وتم فتحها في ذي القعدة عام (459 هـ/1066 م)[4] ، وتوجد هذه المدرسة في الجانب الشرقي من بغداد[5] ، وشرط التدريس فيها أن يكون المدرس واعظاً متولياً للكتب الشافعية أصلاً وفرعاً[6] .

بما أنه فقيهاً متحدثاً ، أملى الحديث بجامع الرصافة ، وفي مدرسته النظامية[7] ، احتذى به كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء ، في حين أصبحت

1- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 99 ، كذلك محمد مفتاح دياب ، المرجع السابق ، ص 92.
2- قحطان عبد الستار الحديثي ، المرجع السابق ، ص 127 .
3- محمد مفتاح دياب ، المرجع السابق ، ص 92 .
4- أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مج 2 ، ج3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ص 307 .
5- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 396 .
6- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 6 .
7- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 162 .

مدرسته نموذجاً يحتذى به في سائر المدارس التي أنشئت في العصور التالية[1] ، ومن أبرز تلاميذ هذه المدرسة العالم المحدث ، أبو بكر محمد بن وليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي (ت 520 هـ / 1124 م)[2] ، ولعل الدافع الأرجح على تأسيس المدارس النظامية ، كان مذهبياً وسياسياً ، لأن الطالب لا يقبل فيها إلا إذا كان شافعياً[3] .

2- المدرسة الشرقية (مدرسة أبي حنيفة) :

أنشئت (بباب الطاق)[4] ، وقام ببنائها شرف الملك أبي سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي ، مستوفي الملكة السلطان ألب أرسلان السلجوقي سنة (459 هـ/1066 م) ، عند شهد أبي حنيفة[5] ، وقد عرفت هذه المدرسة بكثرة مدرسيها ، وخزانة كتبها[6] .

في حين كان أبناء قرطبة يدرسون مبادئ القراءة والكتابة ، وأولويات علوم الدين واللغة والشعر في المحاضر ، وهي عبارة عن أماكن خاصة توجد بجوار المسجد أوفي أحياء المدينة ، وفيها يهيأ التلاميذ ويحضرونهم للمرحلة التالية ، لذلك سميت بالمحضرة وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبي من التميز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره[7] .

واعتنى الأمويون بإنشاء المدارس ، وتعميمها بقرطبة ، إذ يذكر ابن عذارى المراكشي ، إن من مآثر الخليفة الأموي المستنصر بناء سبعة وعشرين مدرسة بقرطبة ، ثلاثة بجوار المسجد الجامع ، وأربعة وعشرون موزعة في أحياء قرطبة ، ليدرس فيها أبناء الضعفاء والمساكين ، وأنه خصص للمؤدبين فيها المرتبات[8] .

1- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص ص 103 – 104 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 210 .
3- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص ص 103 – 104 .
4- هي محلة بالجانب الشرقي من بغداد = زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 315 .
5- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 109 .
6- ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص 460 .
7- زرهوني نور الدين ، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2006 م ، ص ص 68 – 69 .
8- المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 240 – 241 ، كذلك عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق، ص 192.

وقد سار الحاجب المنصور بن أبي عامر على نفس الطريق الذي كان قد نهجه الخليفة الحكم المستنصر من حيث بناء المدارس ورعايتها ، فقد كان يزور المدارس ويحضر أحيانا حلقات الدروس ويستفسر الطلاب عن مشاكلهم ويحثهم على الاستزادة من العلم ، ويمنح المكافآت للمتفوقين منهم[1] .

إن المؤسسات العامة التي سبق ذكرها تقوم بدور المدرسة من حيث العملية التعليمة ، ولم تكن الوحيدة التي ظهرت في البلاد الإسلامية ، بل وجدت إلى جانبها مؤسسات أخرى تقوم بنفس الدور الذي لعبته المدارس والمكتبات والمساجد ، منها البيمارستانات (المستشفيات) .

د) البيمارستانات :

تعد البيمارستانات (المستشفيات) أحد المؤسسات العلمية ، التي تنافس الخلفاء والحكام والأمراء على تشييدها ، والإنفاق عليها أملا في اكتساب رضا الله والثواب في الآخرة ، وصدقة جارية ، وخدمة للمجتمع والإنسانية ، وتخليدا لذكراهم[2] .

وكلمة (بيمارستان) كلمة فارسية تتكون من مقطعين ، (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، و(ستان) دار المرضى أو مجمع المرضى أو بيت المرضى أو دار الشفاء أو المصحة[3] ، ويعود تاريخ تأسيس البيمارستانات في المشرق الإسلامي إلى العهد الأموي ، وأول من قام بذلك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك[4] (86 - 96 هـ /705 - 714 م)[5] .

وحينما اعتلى العباسيون كرسي الخلافة (132هـ/749 م)، ازدهر الطب في عهدهم ازدهارا كبيرا حيث اهتموا بنشر العلوم الطبية ، وشجعوا الأطباء ، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي حضرها الأطباء من كافة البلاد والأقاليم التابعة للدولة الإسلامية ، كما حرص الخلفاء العباسيون على عقد امتحان لكل من يريد أن

1- التواتي ، المرجع السابق ، ص 663 .
2- أحمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، بيروت ، 1981م ، ص ص 3 – 4 .
3- الرازي ، المصدر السابق ، ص 621 ، كذلك زرهوني نور الدين ، المرجع السابق ، ص 91 .
4- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص 290 .
5- عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 34 .

يحترف مهنة الطب[1] ، حيث قام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بإنشاء داراً للعميان لرعايتهم ، وداراً للأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن ، كما أنشأ داراً للمجانين ، وإن كان ذلك لا يحمل معنى بيمارستانا ، ولكن يبدو أن تلك الدور كانت لرعاية هؤلاء صحياً ونفسياً واجتماعياً[2] .

بني أول بيمارستان في عصر الدولة العباسية ببغداد خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجري/الثامن الميلادي ، في الجانب الغربي منها على يد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع في عصر الخليفة هارون الرشيد ، كما قام وزراؤه البرامكة بإنشاء مارستان بها ، سمي باسمهم[3] .

ولم يطل الزمن على ظهور هذه البيمارستانات ، حتى أقيمت أخرى في سائر جهات بغداد بلغ عددها حوالي خمسة وثلاثين بيمارستاناً قبل حلول القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[4]، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- البيمارستانات التي قام بإنشائها الخليفة المعتضد بالله العباسي (279-289هـ /892-901 م) ، منها على سبيل التمثيل :

أ- بيمارستان الصاعدي أو العتيق ، عند باب محول في الجانب الغربي من بغداد[5] .

ب- بيمارستان بدر المعتضدي ، غلام الخليفة المعتضد بالله ، عند محلة المحرم جنوبي الرصافة ، بالجانب الشرقي من بغداد[6] .

ج- بيمارستان المعتضد بالله ، والذي أوكل مهمة بنائه إلى الطبيب المشهور أبو بكر الرازي[7] .

1- محمود أحمد محمد قمر ، البيمارستانات والحمامات في بغداد في العصر العباسي (136-656 هـ /753-1258 م) من دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، تحرير حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2003 م ، ص 67 .

2- حنيفة الخطيب ، الطب عند العرب ، بيروت ، 1988 م ، ص 216 .

3- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 167 – 168 ، كذلك أحمد عيسى فرج الحاسي ، الطب في العصر العباسي الأول (132 – 232 هـ/750 – 847 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، 2004 – 2005 م ، ص ص 119 ، 120 .

4- عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 134 .

5- محمود قمر ، المرجع السابق ، ص 69 .

6- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 277 .

7- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 418 .

2- البيمارستانات التي أمر الخليفة المقتدر بالله العباسي (295-320 هـ/907-932 م) بإنشائها في بغداد ، ومنها :

أ- بيمارستان المقتدري في الجانب الغربي من بغداد تجاه باب الشام ، وولى الطبيب سنان بن ثابت بن قرة ، رئاسته[1] .

ب- بيمارستان أم الخليفة المقتدر في سنة (306 هـ/918 م) عند (سوق يحيى على نهر دجلة ببغداد)[2] ، الذي أنشأته السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله العباسي[3] .

ج- بيمارستان ابن الفرات ، الذي أسسه الوزير أبو الحسن علي بن الفرات[4] وزير الخليفة المقتدر بالله العباسي ، في (درب المفضل ببغداد)[5] ، وقلده أبي الحسن بن ثابت بن سنان سنة (313 هـ/925 م) ، وقد خصص هذا البيمارستان للموظفين والعاملين تحت إمرة ابن الفرات ، حيث يحق لهم التداوي فيه، والحصول على مختلف الأدوية والعلاج والرعاية دون مقابل[6] .

3- بيمارستانات بني بويه ، ومنها :

- بيمارستان العضدي ، الذي أنشأه (عضد الدولة البويهي)[7]، (357 - 372هـ /967 – 982 م) في بغداد[8] ، في موضع قصر الخلد الذي كان متهدماً آنذاك ، والموجود في الجانب الغربي من مدينة السلام ، واستغرق بناؤه قرابة ثلاث سنوات (368–371 هـ /978-981 م)[9].

ومع دخول الأتراك السلاجقة بغداد سنة (447 هـ/1055 م) ، اهتم أمرائهم بأمر البيمارستان العضدي ، حيث أمر الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 -

---

1- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 115 ، كذلك عز الدين فراج ، المرجع السابق ، ص 146 .

2- سوق يحيى ، توجد بالجانب الشرقي من بغداد ، نسبت إلى يحي بن خالد البرمكي ، وكانت تلك سوق اقطاعياً له من الخليفة هارون الرشيد ، ثم أعطي لطاهر بن الحسين ، قائد الخليفة المأمون = ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج3 ، ص 223 .

3- ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت) ، ص ص 194 – 195 .

4- أسندت إليه الوزارة سنة 296 هـ/908 م = محمود قمر ، المرجع السابق ، ص 70 .

5- درب المفضل محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد ، نسبت إلى المفضل بن زمام مولى الخليفة محمد المهدي العباسي = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص ص 304 – 305 .

6- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 280 ، كذلك أحمد بك ، المرجع السابق ، ص 184 .

7- هو أبو شجاع بن فناخسرو بن ركن الدولة بن علي بن الحسن بن بويه = ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 113 .

8- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 437 ، كذلك ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 418 .

9- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 302 ، كذلك حنيفة الخطيب ، المرجع السابق ، ص 208 .

467 هـ/1030 - 1074 م) ، بتجديده في سنة (449 هـ/1057 م)[1] ، كما أمر السلطان السلجوقي طغرليك (429 - 455 هـ/1037 - 1063 م) بالمحافظة على عمارته[2] .

وإذا كانت بغداد قد حظيت ببناء عدد من البيمارستانات[3] ، فلا غرابة في ذلك ، لأنها صارت تمثل حاضرة الدولة العباسية ، ومركز الحكم ، ومقر سكن الخلفاء ، والأمراء كبار رجال الدولة ، ومما لا شك فيه ، فإن نشاط الحركة العلمية واكتماله في العصر العباسي ، أصبح له دور كبير في هذا التطور الذي حدث للبيمارستانات بالمشرق ، ومثلما فعل العباسيون فإن الأمويين حذو حذوهم ، من حيث الاهتمام بالطب في قرطبة[4] ، إضافة إلى ذلك فإن النهضة العلمية ، والتطور الطبي الذي شهدته قرطبة في عصر الخلافة ، قد ساهم في ظهور دور العلاج بها[5]، وإن لم تذكر المصادر العربية وجود البيمارستانات وتاريخ إنشائها بقرطبة ، إذ لا يعقل أن يكونوا قد قاموا بذلك في المشرق – دمشق – دون قرطبة ، وخاصة وأنهم كانوا حريصين على إحياء صرح مجد دولتهم .

وبناءاً على الرحلات العلمية المستمرة بين بغداد وقرطبة ، فمن الممكن أن نذهب إلى ما ذهب إليه المؤرخ ابن أبي أصيبعة[6] على أن البيمارستانات كانت موجودة فعلاً بقرطبة .

والأكثر من ذلك ، فإن الخليفة المستنصر ، قد دعا إلى إنشاء ديوان للأطبـــاء ، قيد فيه اسم كل طبيب يمتهن مهنة الطب والصيدلة ويزاولها ، فإذا ما ارتكب أحدهم خطأ يستحق العقاب ، اسقط اسمه من الديوان ، ولا يسمح له بعد ذلك بممارسة مهنة الطب[7] .

1- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 251 .
2- عبد النعيم محمد حسيـن ، إيران والعراق في العصر السلجوقـــي ، ط1 ، القاهـرة ، 1982 م ، ص ص 21 – 47 .
3- أبو الحسن محمد بن أحمد ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1988 م ، ص ص 19 – 20 .
4- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 492 .
5- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 189 .
6- المصدر السابق ، ص 501 .
7- المصدر نفسه ، ص 492 .

فقد ذكر (ابن أبي أصيبعة)[1] ، أنه في عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر، جاء إلى قرطبة الطبيب محمد بن عبدون المعروف بالعدوى (ت 361 هـ /971 م) لخدمة هذا الخليفة ، وكان قبل ذلك يتولى إدارة بيمارستان الفسطاط بمصر .

لاشك ، فإن ميدان عمل الطبيب محمد بن عبدون هذا في إدارة البيمارستان بمصر ، قد جعله ينقل تجربته إلى قرطبة .

ومما يوحي على وجودها بقرطبة في عصر الخلافة الأموية ، بروز أطباء نالوا شهرة فائقة في عالم الطب بهذه المنطقة ، كالطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي (ت 404 هـ/1013 م) الذي أبدع في الجراحة[2] .

ومما لاشك فيه أن مثل هذا الطبيب الشهير لا يمكنه الظهور والإبداع في مجال الطب دون وجود بيمارستان ، يكون عونا له لإجراء تجاربه الطبية ، فالتطور ليس وليد المجهودات الفكرية للإنسان فحسب ، بل للبيئة والمحيط دورا في ذلك .

لهذا كانت البيمارستانات ، تتخذ إلى جانب وظيفتها الأساسية ، كمشافي للعلاج ، مدارس لتدريس الطب والتشريح ، يدرس الطلاب فيها المؤلفات الطبية ، ويتمرنون ويلاحظون المرضى يومياً بالبيمارستانات[3] .

وبما أن بغداد سبقت قرطبة بذلك ، فإن الطلاب الأندلسيين كانوا يفدون إليها، للتعلم على ايدي أشهر أطبائها ، أمثال سنان بن ثابت ، والرازي ، وابن سينا ، وغيرهم ، وهذا ما أكده الطبيب أحمد بن يونس الحراني ، الذي رحل إلى بغداد سنة (330 هـ/941 م) ، وأخذه للطب عن الطبيب البغدادي ثابت بن سنان ، الذي أطلعه على كتب جالينوس الطبية ، ثم عاد هذا الطبيب إلى الأندلس سنة (351 هـ /962 م) ، بعد ما تزود بمعارف واسعة عن الأدوية والكتب الطبية ، مما جعل الخليفة الأموي الحكم المستنصر ، يسند إليه مهمة الإشراف على خزانة الكتب

1- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 501 .
2- نفس المصدر والصفحة .
3- السيد عبد العزيز سالم ، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 365 .

الطبية الموجودة في قصر الخليفة[1] .

هـــذا الأمر ساعد على تكوين الصلات الطبية بين البلديـــن ، وجعـــل البيمارستانات من أهم المؤسسات العلمية المساعدة على ذلك .

هـ) الأربطـــة :

الرباط في الأصل : الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل وإعدادها ، والرباط مصدر رابطتُ أي لازمت ، وأصل الرباط من مرابط الخيل وهو ارتباطها بإزاء العدو من أجل مقالته[2] ، وأطلقت كلمة الرباط على كل موضوع قريب من أرض العدو في بطن واد أو فرجة جبل ، ويسمى من يسكنها ويلازمها من الناس بالمرابطين[3] ، ويتكون الرباط من صحن ومن عشرات الغرف الانفرادية حوله ، وتنتهي بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان والمراقبة[4] .

وقد ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[5] ، وورد في الحديث الشريف حيث قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : " **رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** "[6] ، وقوله : " **مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ ، صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا** "[7] ، لذلك حث الفقهاء على حماية الثغور والمرابطة فيها ، فيذكر الماوردي[8] أن من واجبات الإمام ، تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظهر الأعداء بقوة ينتهكون فيها محرما ، ويسفكون فيها دماء المسلمين ، أو معاهدات الصلح .

1- ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص ص 112 – 113 ، كذلك صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 190 – 191.

2- الرازي ، المصدر السابق ، ص 229 ، كذلك الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1998 م ، ص 236 .

3- ابن منظور ، المصدر السابق ، مج 7 ، ص ص 302 – 303 .

4- محمد تاويت ومحمد صادق عنيفي، المرجع السابق، ص 94 .

5- سورة الأنفال ، آية 60 .

6- يحيى الدين أبو زكريا النووي ، صحيح مسلم ، ج13 ، باب فضل الجهاد والرباط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ص ص33 – 35 .

7- ابن ماجه ، المصدر السابق ، باب فضل الرباط في سبيل الله ، الحديث رقم 2760 ، ص 449 .

8- الأحكام السلطانية والولايات السلطانية ، مطبعة الباب الحلبي ، القاهرة ، 1960 م ، ص 13 .

وتكمن وظيفة المرابط في حماية الثغور من غارات البيزنطيين والرومان ، ومراقبة النواحي التي يقبل منها العدو والإنذار باقترابه ليلاً عن طريق إيقاد النيران في مواقيد خاصة بأعلاها تنبيها للمرابطة بالخطر وحثاً لهم بالاستعداد والتأهب لصد الغزاة[1] .

لذا اهتم العباسيون بالثغور ، وأولوها إلى أبنائهم ، وإخوتهم وأقرب المقربين إليهم ، وعملوا على تزويد أهلها بما يحتاجون إليه من النفقات والكسوة ، وخصصوا لهم الأطباء والجراحين ، وما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة والذخائر[2] .

في حين بدأت المرابطة في الأندلس ، بعد الفتح الإسلامي ، لكون الأندلس تمثل أحد الثغور الإسلامية المهمة المواجهة للعدو ، حيث كان المسلمون فيها مطوقين من الشمال والشمال الشرقي ، ومن الغرب بعدة ممالك وإمارات مسيحية مثل : مملكة قشتالة ، وليون ، وإمارة جليقية ، وقطلونية ، ومملكة أرغون والبرتغال ، ولهذا كانت الأندلس دار حرب وجهاد منذ أن وطئت أقدام المسلمين أراضيها ، وقد تسابق المسلمون من أقصى المشرق الإسلامي بالهجرة إليها حسبة ورغبة في المرابطة والجهاد[3] .

ومن جهة أخرى فإن العلماء المسلمين بهذا الثغر الإسلامي الأندلسي ، رغم ما انشغلوا به من أمور العناية بالعلم وتحصيله ، وتجشيعهم للرحلة العلمية من أجله ، ثم تفرغهم للتأليف والتصنيف في فنونه وفروعه ، إلا أن ذلك كله لم يمنعهم من المشاركة بمعركة الجهاد ضد المسيحيين الأسبان وجيرانهم من الفرنجة ، واستقرار العديد منهم في مناطق الرباطات والحصون والثغور المواجهة لأرض العدو متخذين إياها مستقراً ومقاما ، كل ذلك من أجل السهر على حراسة المسلمين والدفاع عن أراضيهم ، جامعين بين العلم والجهاد ، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر ، القاضي الفقيه المحدث الحافظ أبو بكر بن العربي ، والقاضي أبو عبد الله بن الفراء ، والقاضي أبو علي الصدفي[4] .

1- السيد عبد العزيز سالم ، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ص 376 – 377 .

2- توفيق سالم اليوزبكي ، مدن القلاع الجبلية ، المدينة والحياة المدنية ، ج2 ، ص 144 .

3- نور الدين زرهوني ، المرجع السابق، ص 96 .

4- عبد الواحد عبد السلام شعيب ، من علمائنا الشهداء في جهاد الصليبيين بالأندلس ، القاضي أبو علي الصدفي ، مجلة الدعوة الإسلامية ، العدد 613 ، طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، 1428 م ، ص ص 4 – 5 .

من هنا اتضح أن مهمة الأربطة لم تكن مقصورة على الدفاع والترقب فقط ، وإنما كانت تؤدي إلى جانب ذلك مهام أخرى كالتأليف والتصنيف والقراءة والتثقيف والاجازة والمحاضرة ، حيث كثرت فيها كتب المطالعة والدرس والاستنساخ والمراجعة والاستشهاد ، الأمر الذي أدى إلى وجود خزانة للكتب فيها ، يكون عليها قوامون يتولون بخزنها وصيانتها وترتيبها[1] .

كما تحتوي على دار للمسافرين ، ومعسكر لحراسة الثغور ، ومستشفى للمرضى ، ودار استنساخ المصاحف ، ومجامع الحديث و الفقه ، وبين الرباط والرباط ستة كيلو مترات[2] ، ومن أمثلة هذه الأربطة : وربط عين زربة سنة (180 هـ/786 م) ، وربط الهارونية[3] ، والتي بناها الرشيد سنة (182 هـ /798م) ورباط الزورني ببغداد الغربية[4] ، ورباط شيخ الشيوخ ، (وقد بناه عميد العراق)[5] على نهر العلي[6] .

وقد كان لهذه الرباطات ، دور حضاري وثقافي مهم ، ولاسيما في مجال تبادل الأفكار والآراء والمعارف ، على أن الرباط لم يَعد يُعنى في العصور الإسلامية المتأخرة ما كان يَعنيه في صدر الإسلام ، والقرون القريبة منه ، حيث أنه أصبح مركزاً للمتطوعين من الزهاد والصوفية ، ومأوى يلجأ إليه الرحالون وطلاب العلم[7] ، أي أن هذه الكلمة تحولت عن مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد التطوعي في سبيل الله عن طريق ملازمة المرابط ، إلى ما تعنيه كلمتي الزاوية ، والخانكاه بالنسبة لأصحاب الزهاد والصوفية[8] .

1- أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ج2 ، الرباط ، 1936 م ، ص 11 ، كذلك خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 97.

2- محمد تاويت ومحمد صادق عفيفي ، المرجع السابق ، ص 94 .

3- توفيق سالم اليوزبكي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 145 – 146 .

4- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج12 ، ص 115 .

5- هو أبو الفضل بن العميد (ت 360 هـ/972 م) ، وزيرا للملك الحسن بن بويه ركن الدولة – هي ألقاب لقب بها بني بويه – صاحب الري وهمذان وأصفهان = أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 171 .

6- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 350 .

7- توفيق سالم اليوزبكي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 145 – 146 .

8- الشيخ طه الولي ، المدينة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي ، العدد 29 ، تصدر عن معهد الانماء العربي ، لبنان ، تشرين الأول – تشرين الثاني ، 1982 م ، ص 127 .

و) المجالس العلمية :

يقصد بها المجالس التي تكون بين رجال العلم في الدور والمساجد ، وفي قصور الخلفاء والأمراء ، وتدور حول الموضوعات المختلفة كالأدب والفقه والنحو والصرف ، والتي تؤدي إلى إفادة المستمع لما يجري فيها من عرض البراهين والأدلة وإيراد الأمثال[1] .

وتعرف هذه المجالس بالمناظرات ، وتأتي على صورة رسالة ، يدور الحوار فيها بين شيئين أو أكثر أو بين شخصين حول موضوع معين ، وتبنى على التفاخر والمباهاة بشيء ما ، بقصد الإشادة به ، وبيان فضائله ومناقبه[2] .

وكان المنشط لتلك المناظرات ازدهار الشغف العلمي ، وحب الظهور على الخصوم بين ذوي الاختصاص الواحد ، وطمعا في نيل جوائز الخلفاء والأمراء ، ورغبة في الوصول إلى الحق[3] .

لهذا استعد العلماء للمناظرة ، وتسلحوا لها رغبة في الشهرة والحظوة ، حتى لا يفشلوا فيقضى عليهم قضاءاً نهائياً ، لذلك كانوا يعدون العدة لمثل هذا الموقف[4]، ومن أشهر المجالس العلمية ، مجلس الخليفة المهدي[5] ، والخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون ، الذي عُني بمجالس المناظرة ، فكان يدخل عليه جماعة من العلماء والفقهاء والمتعلمين كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع ، يناظرهم ويناقشهم ، ثم يختار أفضلهم لمجالسته مكوناً بهم مجمعاً علمياً له النظر في مسائل الخلاف[6] ، وله القول الفصل فيه ، وبعبارة أخرى أراد من ذلك محكمة يتنازع فيها الخصوم ، وكل يدلي بحجته ، والمتنازعون هم العلماء ، والنزاع حول رأي ما ، ثم تحكم المحكمة

1- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج3 ، ص 54 .

2- عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق ، ص ص 450 ، 469 .

3- أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 54 ، كذلك بدري محمد فهد ، الحياة اليومية في المدينة العراقية ، المدينة والحياة المدنية ، ج3 ،، ص 226 .

4- قحطان عبد الستار الحديثي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص ص 121 – 122 .

5- من أمثلة ، ذلك ما جرى بين حمزة الكسائي ويحيى بن مبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي اليزيدي ، ت 202 هـ/817م في جملة مسائل منها لم ينسبوا إلى البحرين فقالوا بحراني ، بينما نسبوا إلى الحصين فقالوا حصني = ابن القفطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج4 ، تحقيق محمد أبو فضل إبراهيم ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1986 م ، ص ص 31 – 33 ، كذلك أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، ص 55 .

6- عصام الدين عبد الرؤوف الفقهي ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص 103 ، كذلك عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 129 .

ويجب تنفيذ حكمها ، كما ينفذ الحكم في المسائل المادية ، ويجب أن يذعن المتنازعان لحكمها ، فلا يقول فاعل برأي إلا ما قضت به المحكمة ، وأن مجالس المناظرة احتدت فيها المناقشات بين المتكلمين ، ودار فيها الجدل حول مسألة خلق القران[1] .

ومثلما كانت هذه المجالس موجودة في بغداد ، وجدت أيضاً في قرطبة ، وخاصة في عصر الحكم المستنصر ، حيث كان يقرب إليه أكابر العلماء ، وجهابذة المفكرين ، ويتخذ منهم حاشيته وبطانته ، حتى تحول بلاطه إلى أكاديمية عظيمة جذب إليه العلماء العراقيين ، أمثال أبو علي القالي[2] .

وقد سار الخليفة المنصور بن أبي عامر هو الأخر في نفس الطريق الذي نهجه الخليفة الحكم ، من حيث عقده للمجالس الأدبية والمناظرات العلمية ، إذ أصبح له مجلس أسبوعي يعقده للبحث والمناظرة ، يشهده الكثير من العلماء والأدباء ، ومن شدة شغفه بالبحث والمناظرة ، يصحب معه العلماء والأدباء إلى ميادين الحرب لئلا تنقطع هذه المجالس والمناظرات[3] .

ومن أمثلة هذه المناظرات والمناقشات التي حصلت في عصره مناظرة الصاعد البغدادي مع أبو بكر الزبيدى تلميذ أبي علي القالى ، حول كتاب الأمالي[4] .

ولم تكن هذه المناقشات والمجالس العلمية مقتصرة على قصور الخلفاء ، إنما أصبحت الجوامع المنتشرة في الأندلس ، تحفل بحلقات العلم ، ومن أشهر المجالس العلمية في جامع قرطبة ، مجلس الفقيه يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي (ت 367هـ / 977 م) ، حيث صار يعقد مجالسه العلمية في أيام الجُمع ، ويلقي فيها دروسه الفقهية على طلاب العلم الذين يزدحم بهم مجلسه لاشتهار ذلك الفقيه بعلو المكانة العلمية ، والمعرفة الواسعة بالفقه[5] .

1- أحمد فريد الرفاعي ، عصر المأمون ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، 1997 م ، ص ص 319 – 320 .
2- التواتي ، المرجع السابق ، ص ص 659 ، 662 ، 663 .
3- عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق2 ، ص 580 ، كذلك عبد المجيد نعنعي ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 468 .
4- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق1 ، مج 1 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1399 هـ/1979 م ، ص 15 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 229 – 231 .

الفصـــــل الثالث

العلماء ودورهم في تعزيز الصلات الثقافية

أولا : أهم علماء الأندلس الذين رحلوا إلى بغداد

أ- بَقَيّ بن مَخْلَـدْ .

ب- قاسم بن أصبغ .

ج- القاضي أبو الوليد الباجي .

د- أبو عبد الله الحميـــــدي .

ثانياً : أبرز العلماء البغداديين الذين انتقلوا إلى قرطبة

أ- زريـــــــاب .

ب- أبو علي القالي .

ج- صاعد البغدادي .

كانت المحاولات الأولى التي قام بها الوجود العربي في عهد الدولة الأموية ، تتجه أولا إلى إثبات الحق الضائع ، واستعادة الملك بالشرق ، واسترداد المجد السابق .

لذا أصبحت المظاهر الأولى لسلطان هذه الدولة ، تتجسد بتقليد الشرق في كل مظاهر الحياة ومرافقها مع الاختلاف اليسير الذي توجيه البيئة ويستلزمه المناخ ، لهذا فإن الناحية الفكرية هي الأخرى لم تكن إلا صورة لما أصبحت عليها هذه الحياة في بغداد أو كنسخة طبق الأصل ، بل كانت المثل الأعلى الذي ينشده أدباء ومفكرو قرطبة من أجل بلوغ المكانة التي يتمتع بها أدباء وعلماء بغداد ، والتي ظلت في أعين مثقفي قرطبة ، وعلى الدوام ، الأستاذ الأول الذي يعد إنتاجه مثاليا ، وعمله النموذج الحي والأساس لما يجب أن يتوخاه أدباء ومفكروا قرطبة ، ولا أدل على ذلك من الأبيات الشعرية التي نظمها أستاذ الأندلس بوقته الفقيه البارع، أبو محمد بن حزم محاولا إظهار تفوقه على البغداديين قال :

أنَا الشمسُ في جَوِّ العلوم منيرةً ولَكنَّ عَيبي أنَّ مَطْلَعِي الغَرْبُ

ولَو أنني مَنْ جَانبِ الشرقِ طالعٌ لَجَدَّ على مَا ضاعَ مِنْ ذكريَ النَّهْبُ

ولي نحو آفاق العراق صَبابَةٌ ولا غَرْوَ أنْ يَستَوحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ[1]

كما يتحدث ابن بسام الشنتريني المتوفي سنة 542 هـ/1147 م ، عن تعلق الأندلسيين الشديد بكل ما يأتيهم من بغداد ، حتى أنهم انصرفوا عن العناية بأخبارهم وأشعارهم ، فأهملوا إهمالا أضاع الكثير منها ، فيقول عن الأندلسيين أنهم " أبوا إلا متابعة أهل الشرق ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما ، وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة "[2] .

يظهر هذا جليا في ما تذكره (المصادر العربية)[3] عن استحالة حصر من رحل منهم إلى بلاد المشرق لأهداف علمية ، كما تقرر هذه المصادر الموثوقة ، أن حصر الأعيان من الداخليين للأندلس من المشرق ليس في الإمكان لكثرتهم التي لا

1- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 296 .

2- المصدر السابق ، ق1 ، مج1 ، ص12 .

3- ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، مج1 ، ص ص 12 – 13 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 225 – 432 .

يمكن أن يحيط بها عد ولا حصر وكلهم كانوا من الفضلاء الإجلاء بما لهم من مكانة دينية أو إحاطة علمية في فروع المعرفة المختلفة التي كانت في ذلك العصر، فمنهم من اتخذ الأندلس وطنا فاستقر فيها إلى أن وافته المنية ، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضى فيها أمنيته .

وقد ذكر المقري أن من أولئك وهؤلاء شخصيات عديدة ، لا على سبيل الحصر الذي يعترف هو بأنه لا يقع في حدود الإمكان ، ولكن على سبيل التمثيل ، والتوسط من غير أطناب داع إلى الملل ، خصص الباب الخامس كله لذكر أسماء بعض الراحلين من الأندلس للمشرق والتعريف بهم ، فبلغ تعداد من ذكرهم ثلاثمائة وسبع شخصية أندلسية[1] .

بينما خصص الباب السادس كله ، لبعض الوافدين على الأندلس من أهل الشرق ، وبلغ تعداد من ذكرهم منه ستا وثمانين شخصية عرف لكل واحد منها ، ثم قال في ختام هذا الباب ، في معرض الاعتذار عن قلة من ذكرهم من المشرقيين الوافدين على الأندلس ، والسبب يعود إلى تعذر المادة التي يستعين بها[2] .

أولاً : أهم علماء الأندلس الذين رحلوا إلى بغداد

لا نريد بهذه الدراسة ، أن نعدد ونذكر جميع من دخل بغداد من الأندلسيين ، ودرس فيها ، وتتلمذ في معاهدها ، فذاك أمر تصعب الإحاطة به ، لأسباب لا يمكن حصرها ، منها أن بعضهم لم يستوطن (بغداد) زمنا طويلا ، صابر على طلب العلم ، متحملاً لآلام الغربة وقساوة العيش ، وبعضهم الأخر لم يكن بالعالم الشهير ولا بالذكي المتميز ، ولا بالمؤلف البارع ، ولا بالشاعر المعروف[3] ، لذلك سنقتصر الدراسة على البارزين منهم ، والذين عادوا لبلدهم فأثروا في حركته العلمية ، والأدبية ، والفكرية ، ومن أولئك الأندلسيين الراحلين إلى بغداد :

1- المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 225 – 432 .

2- المصدر نفسه ، ج 3 ، ص ص 3 – 436 .

3- محسن جمال الدين ، إعلام من الأندلس في بغداد ، مجلة المورد ، مج 8 ، العدد الرابع ، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ، دار الجاحظ ، الجمهورية العراقية ، 1979 م ، ص 396 .

أ) بَقيّ بن مَخْلَدْ :

هَو بقَـي بن مخلد بن يزيد ، يكنى بأبي عبد الرحمن ؛ القرطبي الأندلسي ، ولد في الأندلس سنة 181 هـ[1]/797 م .

يعد من الحفاظ المحدثين ، ومن أئمة الدين والزهاد ، والصالحيـــن ، لأنـــه عُرف بالصدق ، والزهد ، وكثرة التهجد ، والاجتهاد ، ورحل إلى المشرق – مصـــر ، مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، دمشق ، العراق – مرتين ، مرة حجا إلى البيت الله الحرام ، ثم إلى مواطن الحديث والسيرة ، ولقي جهابذة العلماء ، فسمع بالحجاز من أبي المصعب الزهري ، وإبراهيم بن المنذر الخزامي ، ويحيى بن بكير ، وزهير بن عباد ، وبدمشق من إبراهيم هشام الغساني ، وصفوان بن صالح ، وهشام بن عمار ، وببغداد سمع من الأمام أحمد بن حنبل ، وإبراهيم بن محمد الشافعي ، وأبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي[2] .

كان ورعاً فاضلاً ، مجاب الدعوة ، عُني بالأثر عناية عظيمة ، بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم وروي عنهم مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، وحدث عنه كثير منهم ، أحمد بن عبد الله بن المبارك بن حبيب ، وعبد الله بن يونس بن محمد بن عبد الله المرادي ، وعبد الله الواحد بن حمدون المري ، ومروان بن عبد الملك القيسي ، ومهاجر بن عبد الرحمن[3] ، وسمع منه أسلم بن عبد العزيز ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، ومحمد بن وزير[4] ، وأبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي[5] .

مصنفاتـــه :

عندما رجع إلى قرطبة ، لفت أنظار الأندلس إلى حقل الحديث و علومه حيث ادخل المذهب الشافعي إلى قرطبة[6] ، بعد أن غلب عليهم مذهب المالكـــي ،

1- ياقـوت الحمـوي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص 81 ، في حين يذكر المقري سنة ولدتـــه 201 هـ/817 م = المصدر السابق ، ج3 ، ص 264 .
2- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 83 .
3- ياقوت الحمـوي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص 76 .
4- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 83 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 279 .
6- ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 50 .

لذا تعد رحلته إلى بغداد في عصر الإمارة نقطة تحول مهمة في حركة الدراسات الدينية في قرطبة[1] ، وملأها حديثا ورواية ، وألف مصنفات كثيرة منها ، كتاب تفسير القرآن ، والذي يصفه ياقوت الحموي على أنه لم يؤلف في الإسلام مثله قط[2] . وفي الحديث مصنفه الكبير ، الذي رتبه على أسماء الصحابة فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ، ورتب حديث كل منهم على أبواب الفقه والأحكام ، فهو بذلك (مسند و مصنف)[3] ، ويعرف مخلد بإتقانه وضبطه ، وله مصنف آخر في فتاوى الصحابة والتابعيين ومن دونهم ، وكان بحر لا يقلد أحد[4] ، حيث قام بتقديم الصحابة والتابعين حسب علمهم وقراءتهم لكتاب المؤطأ لابن مالك[5] ، لهذا يعد من مؤسسي علم التفسير في الأندلس[6] .

مما انفرد به بقي بن مخلد عن سواه من العلماء أنه أدخل مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، وكتاب الكبير بعماله لفقيه محمد بن إدريس الشافعي ، وكتابين الطبقات ، وسير عمر بن عبد العزيز خليفة بن خياط[7] (ت 240 هـ/854 م)[8] ، ومما لا شك فيه أن لهذه المؤلفات أثر في الثقافة الأندلسية ، وخاصة أنه بقي بالمشرق حوالي أربعة وثلاثين عاما[9] ، يجوب فيها البلدان بحثا عن عالم حديث أو فقيه ، يسمع منه أو يقرأ عليه العلم الذي تعلمه ، توفي هذا العلامة بقرطبة عام (276هـ/889 م)[10] .

ب) قاسم بن أصبغ :

ولد قاسم بن أصبغ بن محمد بن محمد بن يوسف بن ناصح ابن عطاء سنة (247 هـ/861 م)[11] ، من أهل قرطبة ، يعود أصل سلفه إلى موالي الخليفة الوليد

1- وفاء عوض سليم خليفة ، الرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي في الفترة ما بين القرنين (4 – 6هـ/10 – 12 م) رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، طرابلس ، 2007 م ، ص 157 .

2- المصدر السابق ، ج7 ، ص 77 .

3- الفرق بين المسند والمصنف ، أن المسند يرتب فيه الحديث على رواته من الصحابة ، بينما المصنف ، يرتب فيه الحديث بحسب أبواب الفقه = المقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص265 .

4- المصدر نفسه ، ج3 ، ص ص 265 – 266 ، ج4 ، ص 148 .

5- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص ص 81 – 82 .

6- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج3 ، دار إحياء التراث العربي ، 1957 ، ص 53 .

7- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 83 .

8- عبد الجبار ناجي ، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي ، ص 106 .

9- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص ص 76 – 81 .

10- المصدر نفسه ، ج7 ، ص 81 ، كذلك ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 84 .

11- المصدر نفسه ، ص 287 ، بالرغم من أنه اعتبار سنة ولدته 244 هـ/859 م ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص264 .

بن عبد الملك بن مروان (86 – 96 هـ/705 – 714 م)[1] ، يكنى أبا محمد[2]، ويعرف (بالبياني)[3] .

أخذ العلم من أكابر العلماء بقرطبة ، ومنهم بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، وأصبغ بن خليل ، وأبي عبد الله الخشني ، ثم رحل إلى المشرق طلبا لعلم المشرقين ، مع عالم الحديث محمد بن عبد الملك بن أيمن (ت 330 هـ/941 م)[4]، سنة (274 هـ/887 م) فسمع بمكة المكرمة من محمد بن اسماعيل الصائغ ، وعبد الله بن أبي مسرة ، ودخل العراق ، فلقي من أهل الكوفة إبراهيم بن أبي العنبس قاضيها ، وسمع ببغداد من قاضي القضاة اسماعيل بن إسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم (ت 282 هـ/895 م)[5] ، وأحمد بن زهير بن حرب ابن أبي خيثمة (ت 297 هـ/909 م)[6] ، كما استمع إلى محمد بن اسماعيل الترمذي ، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ /889 م) ، ومحمد بن يزيد المبرد النحوي[7] (ت 285 هـ/898 م)[8] .

وقد اهتم أكثر من غيره من الأندلسيين بجلب كتب ابن قتيبة ، عند عودته إلى قرطبة ، منها كتاب المعارف وأدب الكتاب ، وكتاب غريب القرآن ومشكل القرآن[9] ، والتي كان لها أثرا كبيرا بالثقافة الأندلسية .

مصنفاته :

عُرف القاسم بن أصبغ ببصيرته في الحديث ورجاله ، ونيله في النحو والغريب والشعر ، لذا صنف على كتاب السنن لأبي داود كتاباً في الحديث ، ويعود سبب تأليفه للكتاب ، أنه لما قدم العراق سنة (276 هـ/889 م) مع صاحبه محمد ابن أيمن ، وجد أبا داود قد مات قبل وصولهما بقليل ، فلما فاتهما الاستماع إليه

1- عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 34 .
2- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 286 .
3- بيانة الإسبانية Baena : مدينة أندلسية من أعمال قرطبة ، تبعد عن قرطبة عشرة أميال = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص ص 614 – 615 .
4- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 274 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 266 .
5- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص 129 .
6- المصدر نفسه ، ج3 ، ص 35 .
7- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 286 .
8- عبد الجبار ناجي ، من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي ، ص 63 .
9- ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ص 287 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 265 .

عمل كل منهما مصنفاً في السنن على أبواب كتاب أبي داود ، وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما بقي بن مخلد ، محمد بن وضاح في قرطبة[1] .

هذا دليلا واضحا على مدى تأثير العلماء العراقيين في قرطبة ، وقام بن أصبغ باختصاره سنة (324 هـ/935 م) ، وسماه المجتني ، وجعله باسم الحكم المستنصر ابن الخليفة عبد الرحمن الثالث ، وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً ، وقسمه إلى سبعة أجزاء ، وله كتب أخرى في الحديث مثل : كتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس ، مما ليس في الموطأ[2] .

أخذ عنه العديد من العلماء والفقهاء بقرطبة ، لأنه من الثقات والمحدثين منهم على سبيل التمثيل أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي (ت 330 هـ/941 م)[3] ، بينما أخذ من كتبه كل من أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسن القرطبي (ت 372 هـ/982 م)[4] ، وأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت 488 هـ/1095 م)[5] .

كانت وفاة هذا العلامة سنة (340 هـ/951 م) ، في عصر الخلافة الأموية ، وأثناء حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر[6] .

ج) القاضي أبو الوليد الباجي :

هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيني القرطبي ، يكنى بأبي الوليد ، فقيه مالكي من رجال الحديث ، أصله من (بطليوس)[7] ، ومولده في باجة بالأندلس عام (403 هـ/1012 م) ، وارتحل منها إلى الحجاز سنة (426هـ/1034 م) ، حيث كان يسافر معه (للسروات)[8] ، ثم رحل إلى دمشق

1- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 287 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 265 .
2- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 287 ، كذلك شمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج3 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1974 م ، ص 854 ، والمقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 265 .
3- الذهبي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 836 .
4- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 274 .
5- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج18 ، ص 284 .
6- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 287 ، كذلك الذهبي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 854 .
7- مدينة كبيرة بالأندلس ، من أعمال ماردة على نهر آنة غرب قرطبة = ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 530 .
8- عبارة عن عدة مواضع ينسب إليها القوم الذي يحضرون مكة ويجلبون الماء . = المصدر نفسه ، ج3 ، ص230 .

وحلب مدة عام ، ثم قدم إلى بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ، ويقرأ الحديث، فالتقى فيها بعدد من العلماء[1] ، (كأبي الطيب الطبري)[2] القاضي ، (والإمام إبراهيم بن علي بن يوسف أبي إسحاق الشيرازي)[3] ، والقاضي الفقيه (الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصميري ، ت 436 هـ/1044 م)[4] ، فبرع في الحديث ، وفي الفقه ، وعلم الكلام[5] .

رجع أبو الوليد الباجي إلى قرطبة ، بعد أن غاب عنها ثلاثة عشرة سنة ، بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف ، حيث كان يُأجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب[6]، بينما هيئت له الدنيا في قرطبة ، حيث تولى القضاء في عدة مناطق في الأندلس فعظم جاهه ، وأجزلت له الصلات[7] .

يعد الباجي من أبرز العلماء الذين عملوا على تعزيز الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة ، الدليل على ذلك أنه تبادل العلم مع حافظ المشرق أبي بكر الخطيب البغدادي (ت 463 هـ/1070 م) ، بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر ، وعندما عاد إلى الأندلس روى عنه حافظ المغرب أبي عمر عبد البز ومحمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي ، وأخذ عنه أبو عبد الله الحميدي ، وأحمد بن علي غزلون ، وعلي بن عبد الله الصقلي[8] .

مصنفاته :

صنف أبو الوليد كتب كثيرة منها : كتاب التسديد إلى معرفة التوحيد ، وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج ، وكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول، كتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح ، وكتاب المنتقي

1- محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات والذيل عليهما ، مج 2 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1993 م ، ص 64 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 283 – 286 .

2- هو طاهر بن عبد الله بن طاهر ، من أعيان الشافعية ، (ت 450 هـ/1058 م) = الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 222 .

3- فقيه ، غزير مؤلفات ، منها المهذب في الفقه ، طبقات الفقهاء ، (ت 472 هـ/1080 م) = ابن القفطي ، أبناة الرواة ، ج2 ، ص 287 ..

4- الزركلي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 245 .

5- الكتبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 64 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 287 .

6- نفس المصدر ، ج2 ، ص 291 .

7- أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن البناهي الأندلسي ، تاريخ قضاة الأندلس ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1980 م ، ص 99 .

8- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 287 ، كذلك محمود السيد ، تاريخ العرب في بلاد الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 2005 م ، ص 129 .

شـرح الموطأ[1] ، وهو نسختان ، نسخة سماها الاستيفاء ، ثم انتقى منها فوائد ، سماها المنتقي في سبع مجلدات ، يعتبر من أحسن الكتب التي ألفت في مذهب مالك، لأنه شرح فيه أحاديث الموطأ[2] ، وكتاب مختصر المختصر في المسائل المدونة ، وله كتاب اختلاف الموطأ ، وكتاب الإشارة في أصول الفقه ، وكتاب الحدود ، وكتاب سنن الصالحين ، وكتاب شرح المنهاج ، وكتاب التبيين سبيل المهتدين ، كتاب التفسير لم يتمه[3] ، وتوفي الباجي في (المرية)[4] سنة (474 هـ /1081 م)[5] .

د) أبو عبد الله الحميدي :

هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي نسبة لجده حميد الأندلسي[6] ، أصله من قرطبة من ربض الرصافة ولد بالجزيرة بليدة بالأندلس ، قبل سنة (420 هـ/1029 م) ، لأنه في هذه السنة كان يحمل على الكتف حتى يسمع الحديث[7] .

قد سمع بالأندلس عن شيخه أبي محمد علي بن حزم الظاهري (ت 456 هـ /1063 م) ، والذي كان متأثر به ، وأن لم يفصح بذلك ، كما سمع من أبي عمر يوسف بن عبد البر[8] .

كان إماماً من أئمة المسلمين في حفظه ، ومعرفته وإتقانه وصدقه ، ونبله ، وورعه ، ونزاهته ، لذا له سمعة حسنة في قراءة الحديث ، متبحراً في علم الأدب واللغة ، رحل إلى المشرق سنة (448 هـ/1056 م) حجّ ، فسمع بمكة ودمشق ، وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ، ثم عاد إليها واستوطنها ، وكتب في الحديث والأدب وسائر الفنون ، ، روى عن الخطيب البغدادي ، وكتب عنه أكثر مصنفاته ، وعن الأمير الحافظ الأديب أبو نصر علي ابن ماكولا[9] .

1- الكتبي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 64 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 125 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 285 .
3- الكتبي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 64 .
4- المرية : بالأندلس مدينة محدثة أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن محمد سنة (344 هـ/955 م) = الحميري ، المصدر السابق ، ص 537 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 291 – 292 .
6- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 364 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 327 .
7- نفس المصدر ، ج2 ، ص 327 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 327 .
8- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج18،ص284، كذلك المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص 293-294
9- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 365 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 328 .

وقد كان للحميدي دوراً كبيراً في تعزيز الصلات الثقافية بين قرطبة وبغداد ، حيث أنه تأثر بعلماء بغداد ، وأثر فيهم ومن الذين اتضح تأثيره عليهم ، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي (ت 463 هـ/1070 م) حيث أخذ منه ، وبلغ من تأثيره أن العلماء القادمين من الأندلس ، يسمعون منه أمثال : القاضي أبو علي حسين بن محمد الصدفي ، الذي رحل إلى المشرق (481 هـ/1088 م) ، ودخل بغداد سنة (482 هـ/1089 م) ، وأقام بها خمس سنوات ، وأبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي العبدري[1] الذي سكن بغداد (ت 524 هـ/1129 م)[2] ، وبلغ تأثيره على المؤرخين الأندلسيين ، أن المؤرخ الأندلسي أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي ، يؤلف كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، الذي يكاد أن يكون صورة طبق الأصل عن كتاب الحميدي جذوة المقتبس .

مصنفاته :

عُرف بكثرة التصنيف ، والتي صنف بعض منها في عاصمة العلم بغداد ، منها ، كتاب تاريخ علماء الأندلس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رُواة الحديث ، وأهل الفقه والأدب ، وذوي النباهة والشعر ، جذوه المقتبس في مجلد واحد ، وكتاب تاريخ الإسلام ، وكتاب من ادعى الأمان من أهل الإيمان ، وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك ، وكتاب تسهيل السبل إلى علم الترسيل ، وكتاب مخاطبات الأصدقاء في المكتبات واللقاء[3] ، وكتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، والمتشاركة في أسماء الفواكه ، وكتاب نوادر الأطباء ، وكتاب تفسير غريب ما في الصحيحين ، وكتاب التذكرة[4] ، وكتاب ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار ، وكتاب ذم النميمة ، وكتاب الأماني الصادقة ، وغير ذلك من المصنفات والأشعار الحسنة في المواعظ والأمثال[5] .

كانت وفاته في بغداد ، سنة (488 هـ/1095 م) ، ودفن بها[6] .

إذن أصبح الهدف من رحلة القرطبيين إلى بغداد ، السماع والأخذ ، عمن درس على علماء وأجيز بالرواية ، وأكثرهم عاد إلى الأندلس بعد أن وعى واستوعب ، وجلس للاقراء والتأليف وإذاعة العلم الذي حصل عليه هناك .

1- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 305 ، 307 .
2- المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 138 – 139 .
3- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 328 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 327 .
4- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج18، ص 285، كذلك ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 365 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 328 .
6- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج18 ، ص 284 ، كذلك ابن القفطي ، أنباه الرواة ، ج1 ، ص129 . وابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1، ص 365 .

ثانياً : أبرز العلماء البغداديين الذين انتقلوا إلى قرطبة

لم يكن الدور الثقافي الذي أداه الوافدون على قرطبة من أهل العراق بأقل أهمية من دور الراحلين منها إلى بغداد ، لذا وجب أن نتعرض هنا إلى ذكر بعض من كان لهم تأثير قوي وواضح في تعزيز الصلات الثقافية بين البلدين ، لهذا سنقتصر كلامنا على ثلاثة أعلام هم علي بن نافع الملقب بـ (زرياب) وتأثيره ، وأبو علي القالي ، وصاعد البغدادي ومساهمتهما في اللغة والأدب ، لكي يتضح تأثير الأعلام العراقيين على قرطبة ، سيتم ذكر بعض المؤلفات التي دخلت إلى قرطبة ، بالرغم من أن أصحابها لم يفدوا إليها ، وكيف كان لهذه المؤلفات تأثيرا كبيرا في الثقافة الأندلسية .

أ) زريـــاب :

هو الحسن بن علي بن نافع مولى الخليفة المهدى (158 – 169 هـ/774 – 785 م) ، وقد من عليه الخليفة بالعتق ، وهو لا يزال طفلا لقب بـ (زرياب)[1]، لسواد لونه مع فصاحة لسانه تشبيها له بطائر أسود مغرد[2] .

قدم إلى قرطبة سنة (207 هـ/822 م) ، وربما بسبب الجفوة التي حصلت بينه وبين أستاذه (إسحاق الموصلي)[3] مغنى هارون الرشيد ، حيث امتلأ صدره حسدا وغيظا ضد تلميذه ، بما لقيه هذا من حظوة عند الخليفة هارون الرشيد ، فخلا الموصلي به وهدده بالموت ، أو مغادرة بغداد على الفور ، فخشى من غضب أستاذه[4] ، لأنه يعلم تماما نفوذ إسحاق وقدرته على الفتك به ، فهو ينتمي إلى عائلة الموصليين الكبيرة ، ذات السطوة والنفوذ ، والقدرة على البطش والانتقام ، بينما هو عبد وأن كان المهدي أعتقه ، فإنه لم يزل من المستضعفين في المجتمع[5] .

1- تعني الذهب الخالص ، وأصلها من بلاد فارس ، وزراب تعني ماء الذهب = الزركلي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 28 .

2- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 108 .

3- هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون ، أصله من فارس ، مولده سنة 125 هـ/742 م) ، بالكوفة ، ووفاته ببغداد سنة (188 هـ/803 م) = شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري . نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج4 ، دار الكتب ، (د.ت) ، ص 320 .

4- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 69 .

5- مجدي محمد شمس الدين ، الحضارة الأندلسية وعبقرية زرياب ، مطبعة العشرى ، مصر ، 2002 م ، ص 118 .

وربما كان لهزيمة الأمين وتنكيل الخليفة المأمون بأصدقاء أخيه وأفراد حاشيته وندمائه اعتقاداً منه بأنهم كانوا السبب في فساد أخلاق أخيه الأمين ، وكان من بين هؤلاء المغني زرياب ، الذي لم يجد وسيلة للخلاص سوى الفرار إلى قرطبة خوفاً من المأمون[1] ، وهذا السبب هو الذي أدى إلى هجرة زرياب إلى قرطبة .

لذلك قرر السفر إلى المغرب هرباً من البطش المحتمل الذي يضمره له أستاذه أو الخليفة الجديد ، فوصل إلى القيروان[2] ، عاصمة (الأغالبة)[3] في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي ، ولقي هناك كل حفاوة وترحيب ، حتى اختلف مع أميرها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201 – 223 هـ/816 – 837 م) ، الذي أمره بمغادرة بلاده[4] ، ومرة أخرى يهيم زرياب على وجهه خائفاً مذعوراً .

كاتب الأمير الحكم بن هشام (180 – 206 هـ/796 – 821 م) ، وأعلمه برغبته في القدوم إلى الأندلس ، فسر الحكم بذلك ودعاه للمجيء ، ولكن الأمير توفي قبل أن يصل زرياب ، فانتظر أن يأتيه جواب الأمير الجديد – عبد الرحمن الثاني (206 – 238 هـ/822 – 852 م) – بالموافقة حتى تم له ذلك سنة (207 هـ/822 م)[5] ، واستقبله الأمير بنفسه وأكرمه وأنزله في دار من أعظم الدور بقرطبة وحمل إليها جميع ما يحتاج ، وأجرى له العطاء ، ورتب له راتباً شهرياً بمائتي دينار ، وأجرى عليه المصروف العام ، ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار ، ولكل (مهرجان و نوروز)[6] ، خمسمائة دينار ، وأقطعه من

1- عبد المجيد نعنعي ، المرجع السابق ، ص 246 .
2- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 69 .
3- نسبة إلى مؤسسها إبراهيم بن الأغلب بولاية أفريقية من (184 هـ/800 م) إلى سنة (216 هـ/831 م) = عصام الدين عبد الرؤوف الفقهي ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص 197 .
4- يذكر أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، أن سبب الخلاف إلى أبيات لعنترة غناها زرياب للأمير زيادة الله الأغلب :

فإن تكُ أمّي غُرابيـــــةً	من أبناء حام بهـــا عِبتنـــي
فإني لطيف ببيض الظُبا	وسُمر العوالي إذا جئتنـــي
ولولا فرارُكَ يوم الوغى	لقدتُك في الحرب أو قدتني

ويبدو أنه غضب لأنه أمه كانت سوداء اللون ، فظن أن زرياب ربما كان يتهكم من سواد لونها ، فوقعت منه موقع الغضب = العقد الفريد ، ج7 ، دار الأندلس ، لبنان ، 1988 م ، ص 37 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 109– 110، كذلك بيضون ، المرجع السابق ، ص 253.
6- هما عيدان من أعياد الفرس ، المهرجان مركب من "مهر" و"جان" ، معناهما محبة الروح ، ويوافق أول أيام فصل الشتاء ، بينما نوروز ، مركب من كلمتي "نو " ، "روز" ومعناها اليوم الجديد ، ويكون أول أيام السنة ، ويقع ابتداء في فصل الربيع ، حيث يتهادون فيه بالهدايا ومنها السكر ، الملابس = الجهشياري ، المصدر السابق ، ص 24 ، كذلك شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1993 م ، ص 385 .

الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها من الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار[1] .

وبما أنه عمل بنظام تام وهيئة جليلة ، قام بتخصيص صدر النهار للدرس والتدريس ، وبعد الظهر للقراءة والإطلاع ، وفي الليل يتوجه إلى القصر[2] ، عن طريق الباب الذي خصصه له الأمير عبد الرحمن الثاني يستدعيه منه متى يشاء[3]، لذلك كان له تأثيراً مختلفاً على المجتمع القرطبي منها :

1- الأثر الفني :

كان لزرياب تأثيراً قوياً على الحياة الفنية في الأندلس بصفة عامة ، وعلى قرطبة بصفة خاصة ، من خلال تطويره لآلة العود ، والتي كانت تتألف من أربعة أوتار ، ترمز إلى الطبائع الأربعة للنفس البشرية ، أو الأمزجة الأربعة التي تنشأ عن امتزاج السوائل الرئيسية في جسم الإنسان (الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء) فالوتر الأول (الزير) يمثل المزاج الصفراوي الذي يغلب على صاحبه الرزانة والثبات والإحساس العميق ، لذلك صبغ باللون الأصفر ، وجُعل فيه بمنزلة الصفراء من الجسد ، بينما صبغ الثاني أحمراً ، وهو من العود بمكان الدم من الجسد ، لذلك سمي (المثنى) ، ويمثل المزاج الدموي الذي يمتاز صاحبه بالهدوء والإحساس المرهف والطبع المتقلب ، وصبغ الوتر الثالث باللون الأبيض ، وهو في العود بمنزلة البلغم من الجسد ، لهذا سمي (المثلث) ، وجُعل ضعف المثنى في الغلظ ، ويمثل المزاج البلغمي الذي يغلب على صاحبه الرزانة والثبات والإحساس العميق ، في حين جُعل الوتر الرابع أسوداً ، ويسمى (البمّ)[4] ، ويقع أعلى أوتار العود ، وهو ضعف المثلث ، وتأتي منزلته في الجسد ، بمنزله السوداء، ويمثل المزاج العصبي الذي يغلب على صاحبه العناد والتهور والحركة السريعة ، هذه الأوتار تقابل الطبائع الأربعة ، فالبمّ حار يابس ، يقابل المثنى حار رطب ، في حين الزير حار يابس ، يقابل المثلث حار رطب ، لذا قوبل كل طبع بضده ، حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم بأخلاطه[5] .

1- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 110 ، كذلك يونس شبوان ، أثر الغناء في ظهور الموشحات الأندلسية ، مجلة المورد ، مج 17 ، العدد الأول ، دار الشؤون الثقافية والأعلام ، العراق، 1998 م، ص 81.
2- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 333 .
3- السيد عبد العزيز سالـم ، فن الغناء والموسيقى بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العـدد 61 ، ص ص 99 ، 105 .
4- الزير والمثنى والمثلث والبمّ ، أسماء لأوتار العود = المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 111 .
5- المصدر نفسه ، ج4 ، ص 111 ، كذلك محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ، ص 35 .

وقد أضاف زرياب إلى الأوتار الأربعة السالفة الذكر ، وترا خامسا ، رمز به إلى منزلة بين المزاج الدموي والمزاج العصبي ، أي بين الهدوء والانفعال ، وهو يقوم مقام النفس في الجسد ، وقد سمي هذا الوتر صول[1] .

وجعل مضراب العود من قوادم النسر ، بعد أن كانت من مرهف الخشب ، فأبدع في ذلك إبداعاً رائعاً من خلال الألحان والأنغام ، والسبب يعـود إلى ليونة الريشة وخفتها على الأصابع ، كما وأنها تحافظ على سلامة الأوتار مهما طال استعماله للعود[2] .

ولم تتوقف انجازاته إلى هذا الحد ، بل أصلح الدفوف والمزامير وأحكم صنعتها ، مما ساعده على حفظ عشرة آلاف لحن ، ولم يقتصر أثر هذا العالم على الآلات الموسيقية ، بل عمل على ترجمة كتاب الموسيقى لبطليموس[3] .

وبفضل جهوده ، تم تهذيب أذواق أهل قرطبة فنياً ، ونشر الوعي الموسيقي عند العامة والخاصة ، وفتح المجال لظهور ألوان جديدة من الشعر الغنائي الأندلسي – (الموشحات والأزجال)[4] – وبفضله تأسست المدرسة الموسيقية بقرطبة ، بمنهجية خاصة ، من خلال اختياره للتلاميذ ، والمناهج الدراسية ، حيث اهتم بتربية أصواتهم ، وتوسيع مدها ، وألزمهم القيام بتمارين وتدريبات عسيرة مثل : أن يشد الطالب صوته جداً ، إذا صوته قوي ، وإن كان لين أمره أن يشد على بطنه عمامة، وإذا صارت أضراسه ملتصقة ، ولا يقدر الطالب على فتح فاه ، يأمره بأن يدخل فيه قطعة من الخشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها بفمه ليالي حتى ينفرج فكاه ، ثم يختبر الطالب بعد ذلك ، فيطلب منه أن يصيح بأقـوى صوته (آه) ، فإذا سمع صوته صافياً قوياً مؤدياً ، لا يعتريه حبسة ولا ضيق نفس ، عرف أنه سوف يصبح مغنياً ، وإذا وجده خلاف ذلك أبعده[5] .

1- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 111، كذلك محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق، ص 35 .
2- أبو الخطاب عمر بن الحسن البلنسي ابن دحية الكلبي ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق مصطفى عوض الكريم ، الخرطوم ، 1954 م ، ص 137 .
3- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 111 ، 112 .
4- الموشحات : هي أشعار تدور حول الغزل والخمر ووصف الطبيعة ، والموشحة بنيت على أغاني شعبية كانت شائعة بالرومانسية الجارحة = مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده ، بيروت ، 1982 م ، ص 403 ، كذلك أدخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 142 ، بينما الزجل شعر غنائي يصاغ في فقرات تسمى أبيات ، تمتاز بتكرار القافية في نهاية كل بيت حتى يتيسر إنشاده مع المجموعة على نغمات العود أو المزمار = ابن خلدون ، المقدمة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1991 م ، ص 1153 .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج4، ص ص 113 – 114 .

والهدف من هذه التدريبات ، هو إخراج الصوت من القفص الصدري كله لا من الحنجرة فحسب ، وبذلك يستخدم إمكانيات المغني الصوتية استخداما كاملا ، فتتسع قدرته للتعبير الغنائي عن المعاني والأحاسيس[1] .

عمل زرياب على أخذ رسوما في مجالس الغناء ، فأنشأ لأول مرة في الأندلس مسرحا صغيرا يسمى بالستارة ، وجمع العازفين والمغنيين والمغنيات إلى جانب المغني الرئيسي ، وهو ما يعرف اليوم بالفرقة الموسيقية ، كما عمل على تلحين القطعة الموسيقية تلحينا كاملا ً يجمع فيه الإنشاد الجماعي والفردي ، حيث يبدأ الغناء بالنشيد بأي نقرة ، ثم يأتي أثره بالبسيط ، ويختم بالحركات والاهزاج[2] .

هذا البناء الفني المتكامل بعناصره المشار إليها ، يعرف بالنوبة ، وهي نوع من التأليف الموسيقي ، يجمع فيه التأليف الغنائي ، والآلي ، وهو يتألف من سلسلة من الألحان المتتابعة ، بعضها مقرون بأقاويل شعرية ، وتخضع في تركيبها لنظام معين ، يشبه (الوصلة الموسيقية)[3] ببغداد ، والتي استخدمها زرياب في غنائه بين يدي الخليفة هارون الرشيد (170 – 193 هـ/786 – 808 م) عندما جمعه إسحاق به[4] ، لذلك تعرف النوبة على أنها ابتكار أندلسي ، اخترعه زرياب متأثرا بالوصلة العراقية ، ثم أصبح عادة بعد ذلك في الأندلس لكل من أراد الغناء ، أفتتحه تبعا لمراسيم المغنى العراقي[5] ، كما عمل على ابتكار طريقة لكتابة الشعر على أثواب الجواري وآلاتهن الموسيقية ، حتى صار هذا السلوك بمثابة مظهر من مظاهر الوجاهة والأناقة[6] ، لهذا كان غناؤه بداية الحركة الفنية في قرطبة ، منذ أن وطئت قدميه أرض الأندلس .

2- الأثر الثقافي والاجتماعي :

أما بالنسبة لتأثير زرياب في المجتمع القرطبي ، فقد عمل على ابتكار تسريحات الشعر للنساء والرجال ، عرفت باسمه حيث أنزل الشعر على الجبين – تصفيفة الجبهة – مع قصة موازية للحواجب، بالنسبة للنساء بينما عمل على تقصير

1- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ص 83 – 84 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 113 .
3- هي نظاما خاصا يتبع المقطوعات الغنائية والموسيقية = مجدي محمد شمس الدين ، المرجع السابق ، ص133 .
4- نفس المرجع والصفحة .
5- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 113 ، كذلك مجدي محمد شمس الدين ، المرجع السابق، ص 133.
6- المرجع نفسه ، ص 125 .

الشعر في الجانبين وإرساله وراء الأذن[1] ، بالنسبة للرجال ، ووضع مفكرة لتنسيق الملابس ، تقتضي بأن يلبس اللون الأبيض في الصيف ، في حين تلبس الثياب الملونة في فصل الربيع ، ويلبس الفراء المبطن والمعاطف والقبعات ، في الشتاء ، بالإضافة لتعديله من هيئاتها فقصر الثياب ، وضيق أكمامها ، وبما أنه عالماً بالنجوم، قسم الأقاليم حسب اختلاف الطبائع البشرية وأهوائها[2] ، ومن أبرز تأثيراته بهذا المجتمع تعليمهم استعمال معجون الأسنان[3] ، وطريقة طهو الأطعمة البغدادية مثل : (الكماة)[4] ، والهدباء ، والتقلية[5] ، و(التفايا)[6] ، والحلويات التي تعرف باسمه زريابيه[7] ، وزراعة بعض النباتات التي تستخدم في صناعة هذه المأكولات مثل : بقلة الهليون ، والتي عرفت فيما بعد بقرطبة باسم الاسفراج[8] .

كما علمهم كيفية تنسيق الموائد ، حيث استعمل الملاعق والسكاكين بدل من الأصابع[9] ، واستبدل أنية الذهب والفضة بأنية الزجاج الرفيع في التقديم ، وفرش الموائد الخشبية (بأنطاع الأديم)[10] اللينة الناعمة على ملاحف الكتان ، لأن أثار الأطعمة من فوق الجلد تزول وتمحى بأيسر مجهود وأقل مسحة[11] ، كما عمل على تقديم أطباق الشوربة أولاً ، ثم يتبعها مقدماً اللحم ، والطيور المتبلة بالبهارات، وفي النهاية تأتي أصناف الحلويات المصنوعة من الجوز واللوز والعسل والمحشوة بالفستق والبندق ومعطرة بالفواكه[12] .

1- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 113 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 28 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 111 ، 114 .
3- ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر، ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)،ص56.
4- هو نبات يقال له شحم الأرض مستدير كالقثاء لا ساق له ولا عرق لونه غبري ، يوجد في الربيع تحت الأرض = ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ج3 ، شرحه وعلق عليه مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986 م ، ص 219 .
5- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 89 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 112 .
6- هي عبارة عن لحم الضان الغني مقطع قطع صغيرة ، مضاف إليها ملح وفلفل ، وكزبرة يابسة وقليل من ماء بصل مدقوق ومفرق بالزيت ، ويجعل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم ، فإذا أردتها خضراء أضف إليها ماء الكزبرة الرطب = ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 4، مج1 ، ص 44 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 112 .
7- مجدي شمس الدين ، المرجع السابق ، ص ص 137 – 138 .
8- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 112 .
9- ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 89 .
10- الأنطاع : جمع نطع ، وهو بساط من الأديم ، والأديم : الجلد = الرازي ، المصدر السابق ، ص ص 10 666 ، كذلك الزاوي ، المرجع السابق ، ص ص 16 ، 608 .
11- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 112 ، 113 .
12- ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 56 .

يعد زرياب من أبرز العلماء الذين ساعدوا على تكوين الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة ، فما من أثر للحضارة العباسية إلا ونقلـــه ، وأضاف إليـــه من عبقريته ، حتى يتكون من هذا وذاك مزيج حضاري ، هذب به المجتمع الأندلسي كله ، خاصة المجتمع القرطبي ، لذلك اكتسب زرياب شهرة واسعة تتسم بالعمومية والشمول ، وبما أنه لم يكن وقفاً على فئة محصورة في الفن والأدب ، نسبوا إليه أهالي الأندلس كل جديد مبتكر[1] .

وربما تكمن أسباب تفوق زرياب ، إلى انتشار الأمن ، وخاصة أنه عاصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ، الذي امتاز عصره بالهدوء والسكينة ، حيث قام باحتضان كل جديد ومفيد للنهوض بالثقافة القرطبية وازدهارها .

لم تنته تأثيرات زرياب بوفاته سنة (243 هـ/857 م) ، بل استمرت على يد أولاده ، عبد الرحمن ، عبيد الله ، ويحيى ، وجعفر ، ومحمد ، وقاسم ، وأحمد ، وحسن ، وبناته علية ، وحمدونة ، وصار أعلاهم شأناً ابنه عبد الله ، ويليه في المكانة عبد الرحمن – الابن الأكبر لزرياب – بينما كان القاسم أحذقهم في الغناء ، وابنته حمدونة أكثر إجادة للغناء من أختها علية[2] .

ب) أبو علي القالي :

يعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، مرحلة متميزة في تاريخ الثقافة العربية بالأندلس ، إذ اكتملت فيه جميع العوامل الباعثة على قيم نهضة حضارية متعددة الجوانب والآفاق ، ففيه استقلت الأندلس بخلافتها رسمياً عن المشرق ، وتوسعت الدولة وتطلعت بطموحها السياسي إلى ما وراء الجزيرة الأيبيرية ، وتوطدت دعائم الحكم على يد ثلاثة من كبار رجال السلطة العظام هم : الناصر ، والمستنصر ، والمنصور ، وفي هذه الفترة توسع النشاط العلمي[3] ، وظهرت بوادر نضجه ، وأصبحت قرطبة تتميز بنوع من السمات الشخصية ، منذ بداية ذلك القرن ، كانت هناك نوايا أخرى في استقلال الأندلس عن المشرق ، وبعبارة أخرى ، ظل الخليفة عبد الرحمن الناصر يعمل جاهداً لخلق كيان حضاري يطبع قرطبة بطابع خاص يجعلها في الميدان الثقافي على نحو ما هي عليه سياسيـــاً

1- مجدي محمد شمس الدين ، المرجع السابق ، ص 129 .
2- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج4 ، ص 278 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 114 ، 115 .
3- عبد الكريم التواتي ، المرجع السابق ، ص ص 657 – 658 .

وعسكريا ، قوية مستقلة ، موحدة ، ومنافسة للحواضر الأخرى ، وخاصة أن نفوذ العاصمة العباسية ، أصبح يتقلص يوما بعد يوم ، لذا كان على قرطبة أن تهيئ نفسها لتلعب دورا تاريخيا جديدا ، لتحمل لواء الحضارة الإسلامية في ذلك الجناح من العالم الإسلامي[1] .

ولعل من أبرز العوامل الباعثة على ازدهار الثقافة القرطبية ابتداء من ذلك القرن ، قدوم العلماء المشارقة بصفة عامة والعلماء البغداديين بصفة خاصة ، ومما لا شك فيه أنه كان لأبي علي القالي ، دور في توثيق الصلات الثقافية بين البلدين وتنشيطه للدراسات اللغوية بقرطبة ، وليس هذا بجديد ، ولكن تم ذكره حتى يتبين لمن يتتبع هذه الدراسة ، كيف أن القالي كان وراء ما عرفته الأندلس من نشاط معجمي ابتداء من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، ذلك هو التيار الذي غرسه بالأندلس ، ونماه من بعده تلامذته الأندلسيون ، حتى صار ذلك هو الغالب بسماته على مناهج الدراسة اللغوية بالأندلس خلال القرون التالية .

1- مولده ونشأته :

أما بالنسبة لمولده ونشأته ، فهو أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي[2] .

ولد بمنازجرد من دياربكر[3] ، سنة (288 هـ/900 م) ، فنشأ بها ، وقيل له القالي لأنه سافر إلى بغداد سنة (303 هـ/915 م) مع أهل قالى قلا[4] – بلد من أعمال أرمينية[5] – وكانوا يسمونه البغدادي لطول مقامه فيها ، وتوجه إليها ، لأنها مهد العلم ومنتدى الأدب ، وجد في التحصيل على يد علماء الحديث ، واللغة ، والرواية ، فسمع الحديث من (أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي)[6] ، و (أبي

1- عبد العلي الودغيري ، المعجم العربي في الأندلس ، عالم الفكر ، مج12 ، العدد الأول ، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام في الكويت ، أبريل – مايو – يونيو ، 1981 م ، ص 75 .

2- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 62 .

3- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص 202 .

4- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 62 .

5- الإدريسي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 267 ، كذلك الحميري ، المصدر السابق ، ص 447 .

6- نسبة إلى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ ، وهو محدث في العراق ، صنف المعجم الكبير للصحابة ، (ت 317 هـ/929 م) = أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، الأنساب ، نشره د.ين : مرجليوث ، بالاوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، 1912 م ، ص 86 .

سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيى بن صالح بن عاصم ابن زفر العدوي)[1]، و(أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني)[2] ، و(أبي محمد يحيى ابن محمد بن صاعد)[3] ، و(الحسين بن اسماعيل المحاملي)[4] ، وسواهم ، وقرأ النحو واللغة والأدب على (ابن درستويه)[5] ، و(الزجاج)[6] ، و(أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش)[7] ، و(أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي)[8] ، و (أبي بكر محمد السرى المعروف بابن سراج)[9] ، و(أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري)[10] ، و(ابن شقير)[11] ، و(ابن قتيبة)[12] ، وسواهم .

نبغ القالي نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وعده الضبي في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس إماما ثابتاً ، وحجة ثقة ، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه[13] ، ولما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 – 350 هـ /912 – 961 م) يحترم العلماء ويجلهم ، ويقدرهم أعظم تقدير ، سمع بشهرة أبي علي القالي في اللغة والأدب فكتب إليه ، ورغبه في الوفود عليه لينشـــر

1- ولد في البصرة سنة (210 هـ/830 م) ، المحدث (ت 319 هـ/931 م) = ابن الجوزى المصدر السابق ، ج6 ، ص 183 .

2- المحدث في العراق ، من أهل الفقه والعلم والإتقان ، (ت 316 هـ/928 م) = السمعاني ، المصدر السابق ص 291 .

3- من كبار المحدثين ، (ت 317 هـ/929 م) = ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 181 .

4- نسبة إلى المحامل ، الذي يحمل الناس على الجمال إلى مكة . (ت 303 هـ/915 م) = السمعاني ، المصدر السابق ، ص 510 .

5- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي ، أحد النحاة والأدباء الكبار ، (ت 347 هـ /958 م) = ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج2 ، ص ص 113 – 114 .

6- أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن مهمل الزجاج ، أحد تلامذة المبرد ، من أكابر أهل العربية ، وله مصنفات كثيرة منها ، كتاب معاني القرآن = المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 194 – 195 .

7- من أفاضل علماء العربية ، (ت 315 هـ/927 م) = المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 276 ، 278 .

8- كان نابغة في اللغة والأدب والأنساب ، برع في الشعر ، وله عدة تصانيف منها ، كتاب الجمهرة في اللغة (ت 321 هـ/933 م) = المصدر نفسه ، ج3 ، ص ص 93 – 95 ،96 .

9- أحد علماء وأئمة النحو ، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد ، (ت 316 هـ/928 م) = المصدر نفسه ، ج3 ، ص 146 .

10- كان من أعلم الناس ، وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة ، وألف كتبا كثيرة في علوم القرآن واللغة والنحو ، (ت 328 هـ/939 م) = المصدر نفسه ، ج3 ، ص ص 201 – 207 .

11- هو أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن شقير النحوي ، كان عالما بالنحو ، (ت 317 هـ/929 م) = المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 69 – 70 .

12- هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، (ت 322 هـ/933 م) = ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج3 ، ص ص 103 – 104 .

13- ص 217 .

علمه ، والاستفادة من معارفه وعلومه ، بينما كان يقيم ببغداد خمساً وعشرين سنة (303 – 328 هـ/915 – 939 م)[1] ، وعند قدومه إلى قرطبة سنة (330 هـ/941 م) استقبل استقبالاً عظيماً ، وكان الخليفة في مقدمة المحتفلين به[2] .

لذا يعد ضيف الخليفة الناصر ، الذي أكرم مثواه وأحسن منزلته ، وأعلى قدره ، واختصه بتعليم ولي عهده الحكم المستنصر لذلك استوطن قرطبة[3] ، فامتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية ، وطول الدراسة من محاضراته في اللغة والأدب ، والتي صار يمليها من حفظه في المسجد الجامع بقرطبة[4] .

وبهذا صار أبو علي محل إكرام الخليفة الحكم عبد الرحمن الناصر وموضع عنايته ، وكذلك كان الحال عندما تولى الخليفة الحكم المستنصر (350 – 366 هـ /961 – 976 م) ، عرش الأندلس ، وخاصة وأنه أستاذه الذي ثقف عقله بالعلوم والمعارف ، وبث في نفسه حب العلم ، لذلك عمل الخليفة المستنصر بالله ، على حث أبا علي القالي على التأليف ، بواسع العطاء فانقطع إلى العلم والأدب وعكف على التأليف ، فلم يجاره في تأليفه أحد[5] .

مصنفاته :

كان له العديد من المؤلفات من بينها :

كتاب الأمالي في الأخبار والأشعار ، وكتب الممدود والمقصور ، رتبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق حسب الأبجدية الصوتية ، وكتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها ، كتاب على الإنسان والخيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، وهو يعتني خاصة بصيغتين من صيغ الأفعال هما فعل وأفعل ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وتفسير السبع الطوال ، وكتاب البارع في اللغة ، وكتاب شرح القصائد والمعلقات[6] .

1- ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج1 ، ص 243 .

2- المصدر نفسه .

3- أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ، الأمالي ، مج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، المقدمة ، ل ، كذلك عبدعون الروضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي ، ج2 ، دار أسامة ، عمان ، 2001 م ، ص 219 .

4- المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 62 ، 94 .

5- القالي ، المصدر السابق ، مج1 ، المقدمة ، م .

6- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص ص 28 – 29 ، كذلك ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج1 ، ص 241 ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 ، المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 62 .

تأثيرات القالي الثقافية في الأندلس :

استطاع القالي بهذه المؤلفات أن يؤثر في الثقافة القرطبية ، بوجه خاص ، والأندلسية بوجه عام ، فهي بصفة عامة تحتوي على :

1- أمهات الكتب العربية ذات أصول مقروءة ومسموعة ومحققة ، وهي التي حملها معه من المشرق[1] .

2- منهجه الذي يقوم على الضبط عن طريق تنصيص العبارات وإتقان الرواية ، حتى لا نكاد نجد لفظاً من اللغة والأدب غير منسوب لواحد من كبار اللغويين ، الذين أخذ وتعلم منهم ، كما اهتم بلهجات القبائل العربية – بني الكلاب ، بني قيس ، وأهل الطائف ، واليمن ، وأهل الحجاز ، والبصرة ، والبدو ، والحضر – واعتنى بالمعرب من الألفاظ ، وما هو دخيل وأعجمي ، الأمر الذي جعل كتبه تحتوي على الشواهد الغزيرة المقتبسة من القرآن والحديث ، والشعر ، والأمثال ، والحكم ، والخطب[2] .

3- أسلوبه الذي يعتمد على الاستقصاء والاستيعاب والتحقيق ، لذلك عمد إليه الخليفة المستنصر بالله برئاسة (لجنة رباعية)[3] ، هدفها إخراج نسخة مصححة ومعتمدة من كتاب العين ، لأبي خليل أحمد الفراهيدي (ت 170 – 175 هـ/786 – 791 م)[4] ، والذي ساعد على نشر علمه ومنهجيه ، تلامذته الذين ساروا على خطاه ، ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي ، مؤلف كتاب مختصر العين ، وكتاب أخبار النحويين ، وأبا عبيد البكري (ت 489 هـ/1095 م) ، مؤلف كتاب اللآلي في شرح الأمالي ، وكتاب فضل المقال ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، وأبا محمد عبد الله البطليوسي ، (ت 521 هـ/1127 م) ، مؤلف كتاب الاقتضاب ، وكتاب المثلثات[5] ، وظهر تأثير القالي واضحاً في طائفة من الناقلين والدارسين ، الذين استفادوا من كتبه ، وخاصة كتاب البارع ، والذي لا نعلم عنه إلا قليلاً في كتب النقلة والدارسين أمثال :

1- حكمت الأوسي ، التأثيرات اللغوية والأدبية العراقية في الأندلس وأوروبا ، العراق في موكب الحضارة ، ج3 ، ص ص 70 ، 71 .

2- عبد العلي الودغيري ، المرجع السابق ،ص ص 77 ، 94 .

3- تضم القالي رئيسا لها ، وثلاثة من أشهر تلاميذه هم ، أبو بكر محمد بن الحسين الفهري ، ومحمد بن أبان سيد ، وأخوه أحمد بن أبان ، ومقر هذه اللجنة دار الملك بقرطبة = المرجع نفسه ، ص ص 78 – 79 .

4- المرجع نفسه ، ص ص 77 ، 94 .

5- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج7 ، ص 30 ، كذلك ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 ، المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 64 .

أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي ، وهو من أبرز الناقلين عن كتاب البارع ، وذلك في كتابه المخصص ، الذي صرح فيه بالنقل من القالي في مقدمة مصادره[1] ، أما معجمه الأخر ، الموسوم بالمحكم ، فإن المرسى ينقل عن القالي دون أن يذكر ذلك[2] .

أما بالنسبة للدارسين الذين عملوا على دراسة كتاب البارع والتعليق عليه ، على سبيل التمثيل لا الحصر هم :

أبو بكر بن محمد بن الحسين الفهري ، الذي قام بدراسة كتاب أستاذه القالي من خلال كتابه جوامع كتاب البارع ، في حين قام الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج ، أحد ساسة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، بالدراسة الثانية من خلال كتابه الاستدراك على كتاب البارع[3] ، وأحمد بن أبان بن السيد اللغوي الأندلسي ، بمصنفه كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد[4] .

وبما أن القالي وجد عوامل كثيرة ساعدته على النجاح ، وتكوين مدرسة تسير على نهجه في الاعتناء بهذا العلم المشرقي الذي حمله معه ، وتداوله ومدارسته ، فتغلب تيارها في الأندلس ، حتى صار طاغيا على كل تيار سواه ، وبما أن النشاط المعجمي بالأندلس يمثل زاوية واحدة بين الزوايا العديدة التي يتجلى فيها تأثير هذه المدرسة توجيهها ، ولاسيما أن أول معجم لغوي وضع هنالك من تأليف أبي علي القالي ، وأن الذين اشتغلوا بعده بهذا الميدان من اللغويين الكبار ، كان جلهم من تلاميذه ، وتلاميذ تلامذته ، أو مم انحدر إليهم[5] .

إذن الانطلاقة كانت على يد ذلك البغدادي الوافد ، الذي مات بقرطبة سنة (356 هـ/966 م) ليلة السبت ، ودفن بمقبرة متعة بقرطبة[6] .

1- ج1-2 ، تحقيق مصطفى السقا ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1996 م ، المقدمة ، هـ .

2- مريم قاسم ، أضواء على الحركة العلمية في الأندلس ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان 73–74 ، آذار – حزيران ، 2001 م ، ص 189 ، كذلك عبد العلى الودغيري ، المرجع السابق، ص 104.

3- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق2 ، مج2 ، ص 307 .

4- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 203 .

5- عبد العلى الودغيري ، المرجع السابق ، ص 77 .

6- ياقوت الحموي معجم الأدباء ، ج7 ، ص 26 ، كذلك ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج1 ، ص 243 ، المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 62 .

ج)صاعد البغدادي :

هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي ، أصله من الموصل ، دخل قرطبة أيام الخليفة المنصور أبي عامر سنة (380 هـ/990 م)[1].

وقد اختصه المنصور بمجلسه ، حتى يجعل منه قريناً لأبي علي القالي الوافد من قبل على الخليفة الناصر والحكم ، فقربه وأذن له أن يجلس بجامع مدينة الزاهرة ، ويملي كتابه الفصوص على أدباء قرطبة – الزبيدي ، العاصي ، ابن العريف – أنكروا ما ورد فيه ، وكذبوه في كثير مما يمليه ، ووضحوا كثير من سرقاته الأدبية والشعرية[2] .

ومع ذلك فقد كان صاعد أديباً بارعاً ، خفيف الروح ، حاضر البديهة ، يأتي بكثير من غريب الشعر ببداهة منها ، وصفه لطبق كان في يد الخليفة أبي عامر المنصور ، عندما دخل عليه :

أيّا عامر هَل غيرُ جَدواك واكفُ وَهل غيرُ من عاداك في الأرض خائفُ

يسوقُ إليكَ الدهرَ كل [عَجيبة][3] وأعجبُ ما يلقاهُ عندكَ واصفُ[4]

فأعجب به المنصور ، وأمر له بألف دينار ، ومائة ثوب ، وأجرى عليه المراتب ، من ذلك اليوم ثلاثين دينار ، وألحق في ديوان الندماء ، وكان بهذا الديوان بعض أدباء العصر ، مثل : زياد الله بن مضر الظبي ، ابن العريف ، ابن التياني[5] .

كان صاعد مع ما قدمته من صفته بديع الجواب الحاضر ، فكثيراً ما تستغربُ له الألفاظ ، ويسأل عنها فيجيب عن ذلك أسرع جواب[6] .

فقد سأله المنصور يوماً عن ما معنى الخنبشار في اللغة ؟ ، فأجابه أنها حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الأعراب[7] .

1- المراكشي ، المصدر السابق ، ص 23 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 65 .
2- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ج1 ، ص ص 15 – 16 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 66.
3- ذكرت في نفح الطيب ، للمقري ، غريبة ، ج4 ، ص 70 .
4- ابن بسام، المصدر السابق، ق4 ، ج1 ، ص 18، كذلك المقري ، المصدر السابق، ج4، ص ص 69-70.
5- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ج1 ، ص 19 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 70 .
6- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، مج1 ، ص 32 .
7- نفس المصدر ، ق4 ، مج1 ، ص 32 ، كذلك المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 71 .

كما وأنه طيب المعاشرة ، فكه المجالسه ، ممتعا محسنا للسؤال ، حاذقا في استخراج الأموال ، طيبا بلطائف الشكر ، حيث دخل على الخليفة المنصور بن أبي عامر ، يوما في مجلس أنسه ، وكان قبل أن يأتي إليه ، اتخذ قميصا من رقاع الخرائط التي كانت تصل إليه فيها الأموال من الخليفة فلبسه تحت ثيابه ، فلما خلا المجلس ، ووجد فرصة لما أراد تجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط ، فاستغرب المنصور منه ، فقال له : هذه الخرائط التي وصلت إلي فيها صلات مولانا ، واتخذها شعارا وبكى ، واتبع ذلك من الشكر والفضل ، فأعجب ذلك الخليفة المنصور ، وقال له : لك عندي مزيدا[1] .

مصنفاته :

لم يذكر لأبي العلاء مؤلفات كثيرة ، سوى كتابه الفصوص ، ورواية سماها الجواس بن قعطل المذحجي مع بنت عمه عفراء ، والتي شغف بها الخليفة المنصور ، حتى رتب من يخرجه معه كل ليلة ليقرأها عليه ، ورواية اليجفجف بن عدقان مع الخنوت بنت محرمة ، على نسق التي قبلها[2] .

وفاتـــه :

ولما مات الخليفة المنصور ، لم يحضر صاعد مجلس أنس لأحد ممن ولي الأمر بعده ، وأدعى بألم يلحقه بساقه ، فلم يزل يتوكأ على العصا ويعتذر في التخلف عن الحضور والخدمة ، إلى أن نشبت فتنة في الأندلس ، فخرج إلى صقلية فمات فيها سنة (417 هـ/1026 م)[3] .

ومما لا شك فيه أن أبا العلاء ، قد أفاد علماء وأدباء قرطبة ، بالغريب من الألفاظ ، التي ذكرها في كتابه الفصوص ، وبقدرته على سرعة وتنظيم الشعر ، يتناسب مع ميول الخليفة المنصور أبي عامر ، وهذا هو حال شعراء الملوك في ذلك الوقت ، أما بالنسبة عن ما ذكر عليه من الكذب ، أو سرقات أدبية وشعرية ، " فهو قول وجدناه فتلقاه "[4] .

1- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، مج1 ، ص 26 ، كذلك المراكشي ، المصدر السابق ، ص 24 .
2- نفس المصدر ، ص 24 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 186 .
3- المراكشي ، المصدر السابق ، ص 24 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 187 ، مع أن المقري يذكر سنة وفاته (410 هـ/1019 م) ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 85 .
4- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ج1 ، ص 15 .

ورغم ذلك كله ، فإن صاعد البغدادي ساعد على نقل الكثير من المعارف والعلوم البغدادية ، فهو حافظ للأشعار ، وراوي للأخبار ، وعالم بالموسيقى ، لا يجاريه في ذلك أحد[1] .

ربما يؤكد على قوة تأثير علماء بغداد على قرطبة ، أن العلماء الذين لم يغادروا بغداد ، كان لهم نصيب كبير في التأثير على العاصمة الأموية ، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

1- سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ/830 م) ، إماماً نحوياً ، صاحب تصانيف أدبية ولغوية[1] .

كان من أهل البصرة ، دخل بغداد في عصر الخليفة المهدى[2] ، له كتب المصنفة ومنها : كتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب غريب الأسماء ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب الصفات ، وكتاب اللغات ، وكتاب النوادر ، وكتاب المقتضب[3] .

يعد الأنصاري أول من مارس تأثيراً لغوياً معجمياً بالأندلس ، فقد درس عليه منَ الأندلسيين الغازي بن قيس (ت 199 هـ/814 م) ، وعبد الرحمن بن موسى الهواري، من أهل استجة بالأندلس ، وهو أول أندلسي يؤلف في تفسير القرآن[4]، ثم عادا إلى الأندلس بكتبهما ليقرؤها على تلاميذهم .

2- عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي (ت 215 هـ/830 م) صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار ، من أهل البصرة ، قدم بغداد في أيام الخليفة هارون الرشيد[5] .

وصلت شهرته في قرطبة ، وهو لا يزال على قيد الحياة ، إلى حد أن كل من كان ، من الأندلس ذا معرفة جيدة بمفردات اللغة يطلقون عليه لقب الأصمعي ،

1- ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج2 ، ص 30 .
2- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج11 ، ص 216 .
3- نفس المصدر ، ج11 ، ص 216 ، كذلك السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج1 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 583 .
4- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 212 ، 272 .
5- ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج2 ، ص ص 197 – 198 .

ومن هؤلاء محمد بن سعيد الزجالي ، الذي عينه الأمير عبد الرحمن الثاني كاتبا له لسعة علمه باللغة ومفرداتها[1] .

تعود شهرة الأصمعي إلى مؤلفاته منها ؛ كتاب خلق الإنسان ، وكتاب الهمزة، وكتاب الأجناس ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب الصفات ، وكتاب فعل وأفعل ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب النوادر ، وكتاب أصول الكلام ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب الأراجيز[2] ، وإلى تلاميذه ، ومنهم ؛ سوار بن طارق القرطبي ، حينما أكمل دراسته في بغداد وعاد إلى قرطبة ، اختاره الأمير هشام مؤدباً لأولاده ، صار الحكم الأول بين من أدبهم سوار[3] ، ومن تلاميذ الأصمعي أيضاً ، الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح الجزيري ، والذي يعد من أبرز الذين تأثروا بعلماء بغداد ، فقد كانت ثقافته الأولى في الحجاز ومصر ، ثم انتقل إلى بغداد حيث أكمل دراسته ، ولكنه تعلق بالشعر ، ولاسيما ذي الاتجاه المحافظ[4] ، وقد كان أول أندلسي يُعرف البغداديين بشعر الأندلسيين ، حيث أنه كثيراً ما يحضر المجالس الأدبية التي صارت تعقد ببغداد ، كما وأنه هو الذي نقل الشعر العراقي إلى قرطبة وأذاعه هناك[5] .

لهذا أصبح تأثير التأليف الأدبي العراقي ، في المؤلفات الأدبية ذات الطابع العام والمتنوع بقرطبة كبير جداً ، حيث أن هذا النوع من الدراسة الأدبية ، وكان يتضمن معارف متنوعة تفيد في تثقيف الدارس بمجموعة من المعارف عن اللغة والشعر وشرحه ، والأخبار المتعلقة بذلك[6] .

وقد ازدهر هذا النوع الأدبي في البصرة وبغداد ، حيث برز كبار المتخصصين فيه ، وقد جلبت شهرتهم الأندلسيين المتطلعين لهذا النوع من الدراسة، ويعود لهم الفضل في إدخاله إلى الأندلس ، منهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

1- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 72 .
2- ابن القفطي ، أنباة الرواة ، ج2 ، ص 202 .
3- السيوطي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 607 .
4- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 420 .
5- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 86 – 87 .
6- المرجع نفسه ، ج3 ، ص ص 72 – 73 .

1- محمد بن عبد السلام الخشني (ت 286 هـ/899 م) ، والذي بدأ رحلته إلى العراق حين كان في سن العشرين ، ومكث بالعراق عشرين سنة ، فدرس في البصرة على (أبي حاتم السجستاني)[1] ، و(الرياشي)[2] ، ودرس ببغداد على يد ابن حنبل ، وأبي عُبيد بن سلام ، ثم عاد إلى الأندلس ، وانصرف طيلة حياته بالتدريس في جامع قرطبة متبعاً طريقة أساتذته العراقيين في الإملاء ، وصارت أماليه من أهم المصادر التي استخدمها ابن عبد ربه بكتابـــه (العقد الفريد)[3] .

2- محمد بن عبد الله بن الغازي (ت 295 هـ/907 م) ، بعد أن درس بقرطبة سافر إلى العراق لاستكمال تحصيله ، فدرس هناك على أساتذة الخشني أنفسهم ، ولكنه صرف جل اهتمامه إلى دراسة الشعر ، وادخل للأندلس علماً كثيراً من الشعر، والغريب والخبر ، ومنه أخذ أهل الأندلس الأشعار المشروحة كلها ، وصارت أماليه من مصادر ابن عبد ربه أيضاً[4] .

كان لهذين الأندلسيين مجموعة كبيرة من الطلاب الذين أذاعوا الثقافة الأدبية العراقية فيها ، ونسوق مثالاً واحداً على أحد هؤلاء الطلاب ، هو محمد بن حزم (ت 282 هـ/895 م) ، فقد كان حريصاً على ما تعلمه من ابن الغازي ، ومن الخشني ، فأسس بذلك مدرسة ، يدرس فيها كتب الأدب العراقي بقرطبة[5] .

مما لاشك فيه أن مدرسة بغداد العلمية ، كانت هي الرائدة في حقل الترجمة ، والتأليف ؛ من طب ، وفلسفة ، وحكمة ، ومنطق ، وكلام ، وآداب ، وتاريخ ، وجغرافية ، وعلوم ، وفنون ، وكان العراقيون هم الأساتذة في مختلف هذه الميادين ، لما ترجموه ، ودرسوه ، وأخذوه ، وهضموه ، من الأمم الأخرى ، وما ابتكروه بأنفسهم ، بحيث امتزجت تلك الثقافات ببوتقة الفكر العربي ، وأصبحت

1- هو سهل بن محمد السجستاني ، كان كثير الرواية عن الأصمعي (ت 255 هـ/868 م) ، قد أكثر التأليف في مجال اللغة والشعر = أبو بكر محمد الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، 1954 م ، ص ص 100 – 103 .

2- يعرف أبا الفضل العباس بن الفرج الرياشي ، عالماً باللغة والشعر ، كثير الرواية عن الأصمعي (ت 257 هـ/870 م) ألف كتابين هما ، كتاب الخيل ، وكتاب عن الإبل = المصدر نفسه ، ص ص 103 – 106 .

3- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 450 ، كذلك الزركلي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 205 .

4- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 310 .

5- المقري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 292 - 293 .

ذات طابع عراقي عربي معروف[1] ، وفي أي ميدان من الميادين العلمية ، والأدبية والثقافية ، وأصبح لبغداد الحصة الكبيرة ، والزيادة الهادفة فيه .

فإذا ألف الجاحظ (ت 255 هـ/868 م) مثلا رسالة التربيع والتدوير ، التي سار على خطاها في النقد والفكاهة أبو الوليد أحمد بن عبد الله ابن زيدون (ت 463 هـ/1070 م) في رسالته الهزلية[2] ، وإذا ألف أبي محمد داود الظاهري العراقي كتابه الزهرة ببغداد صنف أحمد بن فرج الجياني (ت 366 هـ /976 م) كتابه الحدائق بقرطبة ، وإذا صنف بن أبي طاهر (ت 280 هـ /893م) كتاب عن بغداد ، وذكر أخبارها ومنازل صحابة أبي جعفر المنصور بها، رأينا أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت 324 هـ/936 م) يؤلف كتاباً (في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها) بقرطبة ، ومن ذلك أيضاً كتاب (ابن عبد ربه) (ت 327 هـ/939 م) العقد الفريد ، الذي عارض به كتاب ابن قتيبة (ت 276 هـ /889 م) ألفه ببغداد (عيون الأخبار) ، وعلى نحو ذلك سار ابن بسام (542 هـ/1147 م) بتأليف كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، على خطي كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (ت 429 هـ/1037 م)[3] .

إذن لم يكن للأساتذة العراقيين تأثير على قرطبة فقط ، بل أن المؤلفات الأدبية والتاريخية العراقية ، هي الأخرى كان لها تأثير قوي على حركة التأليف بالأندلس .

1- محسن جمال الدين ، المرجع السابق ، ص 394 .
2- المرجع نفسه ، ص 394 .
3- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 75 .

الفصـــــل الرابـع

أثر الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوروبا

أولا : الأثر الأدبـــي :

أ- أثر الشعر البغدادي في قرطبة وأوروبا .

ب- تأثير المقامات البغدادية في قرطبة وأوروبا .

ثانياً : التأثير العلمي والفني :

أ- حركة الترجمة والنقل .

ب- إرسال البعثات العلمية وفتح السفارات .

ج- صناعة الـــــــــورق .

أثر الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوروبا

اخذ تأثير الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على أوربا صورا وأشكالا متعددة ، نظرا للحالة التي كانت عليها أوربا حينئذ[1] ، ويمكن تمييز هذا التأثير إلى تأثير أدبي وعلمي .

ولم يكن تأثير العلم خلال الفترة الأولى من هذه العلاقات قد ظهر بشكل واضح ، ولكن التأثيرات الأدبية قد بدأت فعلا تحدث أثرها وتمارس تغلغلها ، ذلك أن العرب كانوا يملكون كثير من القيم الحضارية التي قدر لهم أن ينقلوها حينما حلوا ، وحينما دان لهم شعب من الشعوب[2] .

وقبل أن يدخلوا دنيا الفلسفة والعلوم ، كانوا في واقع الأمر مدنيين من الطراز الأول ، ويكفى أن نذكر بهذا المقام مبادئ دولتهم الإسلامية وديمقراطيتهم ، واحترامهم ، بل تفانيهم فيه ؛ وإصرارهم على المساواة والعدل والإخاء ، إضافة إلى تقديسهم للحرية، وحفظهم لمبادئ دينهم وشغفهم بالشعر ، وولعهم بالموسيقى[3].

بدأت كل هذه الأشياء الفعالة في تغيير الشعوب الأوروبية والتأثير بالمجتمع اللاتيني بغرب أوروبا ، وبدأت تؤتي ثمارها حيث عاش الشعبان : الإسلامي والمسيحي جنبا إلى جنب في رخاء واطمئنان ، وكانت مبادئ الإسلام العامل الأول بإعطاء الحياة بقرطبة تلك الصورة الفريدة التي تحققت في القرون الوسطى ، بالرغم من أن التعصب الديني في العالم المسيحي كان على أشده ، ولكن روح التسامح والحرية التي بشر بها الإسلام استطاعت أن تخلق الجو الملائم لحياة المسلمين المتفوقين ماديا ومعنويا على النصارى الذين نالوا حرية العبادة والمعاملات ، فازدهرت أحوالهم تحت الحكم الإسلامي ازدهارا لم يكن له مثيل من قبل[4] .

1- جلال مظهر ، حضارة الإسلام وأثرها في الرقي العالمي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1974 م، ص 488.
2- نفس المرجع ، ص 489 .
3- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، عيسى البابي الحلبي ، 1969 م ، ص ص 277 – 287 .
4- عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي ، ج1 ، دار الفنون العلمية ، الإسكندرية ، 1991 م ، ص ص 41 – 49 .

لا شك فإن المسلمين ، بغض النظر عن بعض الفوارق أو الامتيازات البسيطة التي تمتعوا بها ، قد حققوا في القرون الوسطى مجتمعاً لم يستطع غيرهم أن يحققه ، وخلقوا بيئة اجتماعية عاش فيها المسلمون والنصارى واليهود حياة أقرب ما تكون إلى المحبة والإخاء ، كان لها أكبر الأثر في المجتمع المسيحي الذي استطاع أن يتمثل ويستوعب ويهضم كل ما جاء به المسلمون ، وإن كانت آثار هذا كله لم تظهر إلا بعد عدة قرون كما قلنا من قبل ، وليس ذلك براجع إلى شيء أكثر من رجوعه إلى الحالة الفكرية والاجتماعية ، التي تعيشها هذه الشعوب قبل قدوم المسلمين[1] .

ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب بالغرب إلا بتصور حال أوربا حينما وصلت حضارة العرب إليها ، إذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، حين كانت الحضارة الإسلامية بقرطبة ساطعة جداً ، نجد أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها رجال النصرانية الذين يفخرون بأنهم لا يقرأون ، وأكثرهم معرفة كانوا من الرهبان الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في ديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفسية ، وذلك لكي يكون عندهم من الورق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة[2] .

وبما أن المجتمع الإسلامي صار المثل الأعلى للمجتمع في أوروبا ، أصبح لابد من أن تظهر عليه تأثيرات عربية ، خاصة وأن قرطبة بحد ذاتها ، كانت جزءاً من القارة الأوروبية ، لهذا فإن أي تأثير يظهر عليها من بغداد عن طريق الصلات الثقافية التي صارت بينهما ، يعد أثراً واضحاً لهذه الصلات الثقافية ، وأول هذه الآثار الأثر الأدبي .

1- جلال مظهر ، المرجع السابق ، ص 490 .

2- جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 566 .

أولاً : الأثر الأدبـــي :

أ) أثر الشعر البغدادي في قرطبة وأوروبا :

كانت بغداد قبلة أنظار القرطبيين الراحلين إلى المشرق ، حيث صارت أخبار الشعر البغدادي وازدهاره تصل إلى الأندلس باستمرار ، وتجذبهم إليها ، وما كان يعجب القرطبيون ببغداد ، تلك الثقافة الأدبية عامة ، والشعرية خاصة ، التي أصبحت شائعة فيها حتى بين عامة الناس[1] .

ومن شعراء الأندلس ، في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، الذين تأثروا بالتيار العراقي المحدث في الشعر ، يحي بن الحكم البكرى الجياني الملقب بالغزال ، لوسامته ، إذ اتصف بجمال ظاهر مع بسطة في الجسم ، ووفرة في الصحة والنشاط المتدفق ، عاصر خمسة من أمراء البيت الأمـوي (150 - 250 هـ/767 - 839 م) هم : عبد الرحمن الداخل ، وابنه هشام ، ثم الحكم ، وعبد الرحمن الثاني ، وجانبا من إمارة الأمير محمد[2] .

اكتسب خلال عمره المديد قدراً موفوراً من الثقافة في علوم اللغة والبلاغة والأدب والفلسفة والفلك والتاريخ ، بالإضافة إلى إجادته اللغة الروميـة[3] (اللاتينية) .

لذلك أرسله السلطان عبد الرحمن الثاني إلى ملك (المجوس)[4] تورجايوس ، وسبب هذه السفارة هو رغبة الأمير عبد الرحمن الثاني في مصادقة تلك القوة الجديدة ، ليستعين بها ضد الملك شارلمان ببلاد الغال ، وهي القوة التي اتصلت بها الخلافة العباسية المناهضة للإمارة الأموية بالأندلس، خاصة وأن النورمان هاجموا الأندلس،وأمعنوا في الناس فتكاً إلى أن طلب الملك تورجايوس الصلح والمهادنة[5].

1- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 85 - 86 .

2- المقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 21 – 22 .

3- سعيدة محمد رمضان ، في الأدب الأندلسي ، رابطة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999 م ، ص 62 .

4 تعني كل من يعبد النار ، لأن النورمان كانوا كذلك ، أطلق عليهم العرب هذا الاسم ، ويسمونهم أهل بغداد بالفرنجة ، يقصد به الشعب الذي تزعمه الميروفنجيون والكارولنجيون ، فيما يعرف بفرنسا فضلا عن شمال أسبانيا (قطالونيا) وشمال إيطاليا ، وجهات أخرى في أوربا ، = المراكشي ، المصدر السابق ، ص 8 ، كذلك عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، دمشق ، (د.ت) ، ص 167 .

5- المرجع نفسه ، ص 167 ، كذلك إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص ص 161 – 162 .

استقبلت السفارة التي أرسلها الأمير الأموي سنة (231 هـ/845 م) لدى وصولها استقبالاً حافلاً ، وبعد يومين مثل الغزال أمام الملك ، الذي سرعان ما أعجبه ، وطلب منه أن ينادمه ، وسرعان ما انتقل هذا الإعجاب إلى زوجته (تود)[1] ، فكانت لا تصبر عنه يوما[2] ، ثم عاد بعدها إلى قرطبة ، بعد ما نقل الكثير من الموروثات العربية إليهم من خلال تحاوره مع ملك المجوس ، ومن بينها أشعاره التي أصبحت تتداول بينهم .

كما أن هذه السفارة كانت لها أهمية عظمى في ميدان الدبلوماسية ، إذ استطاع الغزال معرفة طبيعة حياة أولئك الناس ، ولون معيشتهم ، وترتب على التقرير الذي قدمه نشأة البحرية الأندلسية في بحر الشمال[3] .

والأمر الذي يوضح تأثر الغزال بالشعر المحدث ببغداد ، أن له قصائد على نمط أشعار الحسن بن هاني أبي نواس (ت 198 هـ/813 م)[4] ، يصعب على من يقرأها تمييزها عن شعر الشاعر البغدادي أبي نواس ، كما وأنه تأثر بشعر إسحاق إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية (ت 218 هـ/833 م) ، في الزهد[5] .

ربما يكون لشهرة الشعراء البغداديين ، وقدوم الشعراء الأندلسيين إلى بغداد، سبباً في نقل الشعر البغدادي إلى قرطبة ، ومن الشعراء الذين كان لهم تأثير كبير بقرطبة ، الشاعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي (ت 354 هـ /965 م)[6] ، والذي أدخل ديوانه إلى قرطبة ثلاثة من الأندلسيين هم ؛ زكريا بن الأشج (ت 393 هـ/1002 م) ، وهو من أصل أفريقي ولكنه أقام في قرطبة ، حيث درس ديوان المتنبي عن المتنبي نفسه ، حينما كان مقيماً بالقاهـــــرة خلال السنوات (345 هـ/ 956 م ، 349 هـ/960 م) ، ثم جلب الديوان معه إلى الأندلس وأذاعه فيها ، ومحمد بن قاسم القرطبي (ت 380 هـ/990 م) الذي سمع

1- اختصار لاسمها تيودورا = ابن دحية ، المصدر السابق ، ص 144 .

2- المقري ، المصدر السابق، ج3 ، ص ص 25 - 26 ، كذلك انحل جنتالث بالنثيا ، المرجع السابق، ص 56.

3- عبد الرحمن حميدة ، المرجع السابق ، ص 172 .

4- حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، مج2 ، ص 297 .

5- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 87 – 88 . كذلك حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، مج2 ، ص 314 .

6- ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) ، ص ص 5 – 6 .

الديوان من المتنبي أيضا"[1] ، والشاعر النحوي القرطبي يدعى الحسين بن الوليد ويعرف بابن العريف (ت 390 هـ/999 م) ، ثم قام الأديب أبو القاسم بن الأفليلي القرطبي (ت 441 هـ/1049 م) بشرح ديوان المتنبي في قرطبة[2] .

يظهر تأثير المتنبي وأهميته عند الأندلسيين ، من الذين أتبعوا أسلوبه في الشعر ، حيث أنه يعتمد على إطالة البحور وقوة الألفاظ ، ومنهم على سبيل التمثيل أبو القاسم محمد بن الهاني الأسدي (ت 362 هـ/972 م)[3] ، ومن ظاهرة شيوع إطلاق لقب متنبي الأندلس على عدة شعراء أندلسيين منهم ، أبو عمر أحمد بن محمد دراج القسطلي (ت 421 هـ/1030 م) ، نسبة إلى مدينة بالأندلس يقال لها قسطلة[4] .

وبما أن الغزال كان متأثرا بالشعر البغدادي ، فإنه يعد من أبرز الذين نقلوه إلى قرطبة ، ومنها بالتالي إلى بلاد المجوس التي كان سفيرا إليها .

وإلى جانب هذا ، كان لزرياب المغني البغدادي وعائلته وعبيده دور كبير في إذاعة الشعر البغدادي بقرطبة ، عن طريق الأشعار البغدادية التي كان يغنيها في البلاط الأموي[5] .

وهذه الأشعار الغنائية أثرت كثيرا بأسبانيا والممالك الأوروبية ، وأصبحت تتغنى بها ، حتى القرن التاسع عشر الميلادي[6] .

لم يتوقف تأثير الأدب البغدادي والقرطبي إلى هذا الحد ، بل أن شمال أسبانيا ، وإقليم فلورنسا بجنوب فرنسا ، تأثروا تأثيرا واضحا بموضوعات الأدب العربي ، ذلك أن الأوروبيين في تلك العصور لم يجدوا ما يشفي غليلهم في الأدب الغربي الذي يعوزه الخيال الخصب ، فاتجهوا شطر الأدب العربي المعروف

1- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 89 .
2- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 98 .
3- حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، مج3 ، ص 210 .
4- سعيدة محمد رمضان ، المرجع السابق ، ص 78 .
5- حسان حلاق ، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الأندلس - صقلية - الشام ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 م، ص 47، كذلك مجدى محمد شمس الدين، المرجع السابق، ص 133.
6- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 87 .

بالخصوبة والإبداع[1] ، لذلك قال هاملتون جب " أن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرهـا "[2] .

وقد ظهرت نزعة جديدة بالأدب الأوروبي في شعر (التروبادور)[3] ، وربما أن هذه الظاهرة جاءت عن طريق الاقتباس من الأدب العربي ، أنه امتاز بالغزل الرقيق والرثاء الباكي ونحو ذلك ، والمعروف أن قرطبة امتازت بهذا النوع من الشعر ، والذي بدا واضحاً في الموشحات والأزجال ، والجديد في أشعار التروبادرو ليست في موضوعاتها ، وإنما في طريقة صياغتها ، ذلك أن العشق الذي يعبر عنه ذلك الشعر يمتاز بالصقل وقوة الخيال ، فضلاً عن عفته حتى أنه وجد مثله الأعلى في الزوجة الوفية المثالية ، وهذه كلها أمور لم تعرفها أوروبا في العصور الوسطى ، حيث أن الكنيسة أحاطت المرأة بنطاق من العذرية حال دون التغزل فيها والإشادة بها[4] .

من هذا يبدو أن الخصائص التي امتاز بها شعر التروبادور جعلته يقوم على تقاليد أدبية ثابتة لا يوجد لها نظير بالشعر الأوروبي السابق ، ولا يمكن أن تتحقق أواخر القرن الحادي عشر – على الأقل – إلا في أشعار قرطبة[5] .

وخاصة أن كثيراً من الاصطلاحات التي تتكرر في شعر التربادور ، موجودة بكتاب طوق الحمامة لابن حزم القرطبي (ت 456 هـ/1063 م) كالرقيب ، والواشي ، والعذول[6] ، ونظراً لعدد المطابقات وطبيعتها بين شعر البلاط بقرطبة والشعر في بروفانس ، فإن نظرية انتقاله لا يمكن إغفالها .

هذا فضلاً عن أن الزجل الأندلسي استند إلى موسيقى يوقع عليها ، بينما أخذ شعراء التروبادور في بروفانس يوقعون أشعارهم على (آلات موسيقية عربية)[7] ،

1- عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 58 .
2- تراث الإسلام ، تر ، أحمد علي ، الألف كتاب النهضة ، 1955 م ، ص ص 189 – 190 .
3- هي تحريف للفظ العربي (دور طرب) ، لأن لغة بروفانس شأنها شأن كثير من اللغات الأوروبية ، تقدم الصفة على الموصوف ، والمضاف إليه على المضاف ، إذن تروبادور أصلها طرب دور = عباس الجراري ، أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع ، عالم الفكر ، مج12 ، ص 57 .
4- هاملتون جب ، المرجع السابق ، ص ص 189 – 190 .
5- عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 59 .
6- أمين الطيبي ، الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوروبية ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 1986 م ، ص 45 ، كذلك حسان حلاق ، المرجع السابق ، ص 89 .
7- هذه الآلات هي : العود ، والقانون ، والرباب ، والرق ، والصنج = صبحي أنور رشيد ، الموسيقى في العصور العربية والإسلامية ، العراق في موكب الحضارة ، ج4 ، ص ص 307 – 308 .

ويتجولون بها قاصدين بيوت الحكام والأمراء[1] .

وهذه الأدلة كلها تشير إلى أن شعر التروبادور ، إنما جاء وليدا لمؤثرات عربية أندلسية .

ب) تأثير المقامات البغدادية في قرطبة وأوروبا :

ظهر فن المقامات ، بالمشرق العربي في أواخر القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، وهو ضرب من الفن الأدبي قريب من فن القصة القصيرة في العصر الحديث ، وإذا كان بديع الزمان الهمذاني (ت 398 هـ/ 1007 م) هو أول من أجاد هذا الفن ، فإن مقامات الحريري (ت 516 هـ/1122 م) تعد من أوسع الكتب الأدبية ذيوعا بقرطبة ، والحريري هو محمد القاسم بن علي البصري عربي صميم من بني حرام ، ولد بقرية يقال لها مشان البصرة ، ونشأ وتخرج عل يد علماء البصرة ، وبدأ يكتب مقاماته سنة (495 هـ/1101 م) وسرعان ما انتشرت مقاماته[2] في الأندلس ، وأقبل عليها الناس ، حيث كان لها بين الأدباء صدى واسعا ، وراح كثير من الأدباء يعارضونها منهم ، الفقيه ابن القصر أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي (ت 575 هـ/1179 م)[3] ، وأبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر الأنصاري البطليوسي ، الذي رحل إلى المشرق ، فأدى فريضة الحج ، جمع الحديث من كبار المحدثين وحدث عنه أبي بكر الطرطوشي ، وسمع مقامات الحريري الخمسين في بستانه ببغداد[4] .

وممن شرح مقامات الحريري ، من الأندلسيين ، محمد بن أحمد بن سليمان المالقي (ت 617 هـ/1219 م)، وعبد الله بن ميمون العبدري الغرناطي (ت 567 هـ/1171 م)[5]، على أن أهم شرح لمقامات الحريري ، هو شرح أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي حيث قسم مقامات الحريري إلى ثلاثة أجزاء أكبرها الأدبية ، وأوسطها اللغوية ، وأصغرها المختصرة (ت 609 هـ/1212م)[5].

1- عباس الجراري ، المرجع السابق ، ص 57 .
2- المقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 256 .
3- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 92 .
4- المقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 256 .
5- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 93 .
6- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 330 .

ولعل أهم من عارض مقامات الحريري ، من الأندلسيين أبو طاهر محمد بن يوسف الاشتركوني السرقسطي (ت 538 هـ/1173 م) وتعرف مقاماته الخمسون باسم المقامات السرقسطية[1] ، وقد ذكر (إحسان عباس)[2] ما أنتجه الأندلسيون من مقامات معارضة للبديع والحريري ، فبلغ تعداد ذلك ما يقارب المائة مقامة أو يزيد ، واستمر التأليف على نمط المقامات بالأندلس ، حتى نهاية الحكم الإسلامي بها .

على أن التطور الذي لحق فن المقامات الأندلسية ، انتقل على شكل عناية بالزخرف اللفظي على حساب المضمون ، إلى أن أصبح أقرب إلى أن يكون فناً قصصياً اجتماعياً نقدياً[3] .

ولم يقتصر التأثر بنهج الحريري على مسلمي الأندلس وحدهم ، بل سرى ذلك بين الأوروبيين ، وخاصة في أسبانيا ، فظهر ما يعرف بقصص الصعاليك ، والتي مارست تأثيراً قوياً وواسعاً على الأدب الأوروبي ، والتي ظهرت بعد القرن الحادي عشر الميلادي[4] .

أما أثر القصة العربية في الأدب الأوروبي ، فقد كان عظيماً جداً ، وبصفة خاصة القصص الخرافية ذات المغزى الأخلاقي ، أو التي تتخذ الحيوان موضوعاً لها ، وهذا اللون من الأدب البغدادي ، عرفه الشعر القرطبي قبل أن يظهر في الممالك الأوروبية ، وخاصة الأدب الأسباني ، فهو أول ما تأثر بالأدب البغدادي[5]، فنقل العباس الجزري القصة الهندية المعروفة باسم (كليلة ودمنة)[6] من بغداد إلى قرطبة[7] ، ومنها إلى الممالك الأوروبية في العصور اللاحقة ، حتى أن الأستاذ هاملتون جب اعترف بأن لولا قصص ألف ليلة وليلة ، لما عرف الأوروبيون (قصة روبنسن كروزرلدانيال ديفوى)[8] ، كما أنه يؤكد على أن كل ما يمتاز به

1- إحسان عباس ، عصر الملوك والطوائف ، ص 317 .
2- نفس المرجع ، ص ص 303 – 308 .
3- حكمت الأوسي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 93 .
4- نفس المرجع ، ج3 ، ص ص 93 – 94 .
5- عبد الفتاح مصطفى غنية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 60 – 61 .
6- كتاب وضعه الفيلسوف الهندي بيديا ، ولكن الفرس زادوا فيه وهو نواة الأدب القصصي على لسان الحيوان والطير والحشرات ، قام بترجمته عبد الله المقفع إلى العربية في عصر المنصور = صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 17 .
7- ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 51 .
8- التي تحكي قصة حياة رجل خاض الكثير من المغامرات ، أهمها إقامته بمفرده في جزيرة نائية مدة 28 عاما وشهرين = هاملتون جب ، المرجع السابق ، ص 194 .

الأدب الأوروبي من انبساط وخيال خصب يرجع إلى تأثر تلك الآداب بالمؤثرات العربية القرطبية[1] .

وقد كان لقصة الإسراء والمعراج في القرآن الكريم ، تأثير قوي في الأدب الغربي بصفة خاصة ، حيث أنها أثرت على أبي العلاء المعري ورسالته الغفران ، التي ذاع صيتها بقرطبة فيما بعد والممالك الأوروبية ، نتج عن هذا التأثير ظهور رسالة الكوميديا الألهية للأدب الإيطالي دانتي[2] .

لهذا تعد قرطبة الجسر الذي عبرت منه كثير من المظاهر الأدبية البغدادية إلى أوروبا في العصور الوسطى .

1- هاملتون جب ، المرجع السابق ، ص ص 192 – 194 .

2- مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، 1988 م، ص ص264 - 265.

ثانياً : الأثر العلمي والفني :

يظهر التأثير العلمي والفني للصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة في :

أ) حركة الترجمة والنقل :

كان لسياسة التسامح التي اتبعتها كل من بغداد وقرطبة ، تجاه أهل الذمة من المسيحيين ، أثر كبير بنشر العلم في الممالك الأوروبية ، حيث حفظ المسلمون العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان ، فلم يكن بالعالم آنذاك بلد يمكن الدراسة فيها غير بغداد وقرطبة[1] .

فقد نشطت حركة (الترجمة والنقل)[2] في عصر الحكم المستنصر بالله ، كما نشطت في عصر الخليفة هارون الرشيد والمأمون ببغداد ، مع فرق واضح قضت به طبيعة الظروف والأوضاع ، ففي بغداد اتجهت الترجمة إلى النقل عن اللغات القديمة غير العربية وتصحيح بعض الأخطاء العلمية فيها ، أما بقرطبة فكان النقل عن اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية وبخاصة اللغتين الإسبانية واللاتينية ، وكما كان المتعربون في بغداد يجيدون لغاتهم الأولى ، أصبح الكثير من أهل قرطبة يتقنون الإسبانية واللاتينية ، ونضيف إلى هذا الفارق بين البيئتين ، أن المكتبة العربية الأولى ببغداد ، اهتمت بالانتفاع بتراث الفكر القديم ، لتغذي الفكر الإسلامي ، بروافد سخية من ماضي المعرفة ، فقد نهضت بغداد بهذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالاً فيه ، فصار اتجاها إلى نشر الثقافة العربية التي بلغت عز نضجها إلى الممالك الأوروبية[3] .

لذا توافد طلاب المعرفة من جميع أنحاء غرب أوروبا إلى قرطبة الإسلامية، تدفعهم الرغبة الملحة في التوجه إلى أرض المعرفة ، وكان كثير من هؤلاء الطلاب من الرهبان الذين جذبتهم هذه الحضارة الجديدة ، أو الذين أصبحوا راغبين

1- جلال مظهر ، المرجع السابق ، ص ص 493 – 494 .

2- الترجمة : هي ترجمة المصطلحات مباشرة من لغتها الأصلية التي كتبت وعرفت بها إلى لغة ثانية ،
أما النقل : فهو نقل المادة العلمية إلى اللغة العربية من لغة ثانية غير اللغة الأصلية التي كتبت بها هذه المادة
= فتحي صلاح عبد السلام وادي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق الإسلامي (من القرن 3-6 هـ/9-12م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البيان الأول ، بنغازي ، 2005 – 2006 م ، ص 55 ، هامش 4 .

3- خضر أحمد عطا الله ، المرجع السابق ، ص 407 .

في أن يكشفوا بأنفسهم أسباب عظمتها ، ولقد عاش كثيرون منهم بين المسلمين ، وتعلموا علومهم وفنونهم ، بل لغتهم أيضاً ، لأنه كان من الضروري لهم ، إذ أرادوا أن يلموا بثقافة هذا العصر أن يتعلموا اللغة العربية[1] ، وعن طريق هؤلاء الطلاب الوافدين ، وصلت المؤلفات العلمية إلى أوروبا ، حيث أنهم عملوا على ترجمتها ونقلها إلى اللغة اللاتينية ، ولم تكن هذه الترجمة مقصورة على مادة محددة ، بل أنهم ترجموا كل ما وقعت عليه أيديهم من مؤلفات عربية[2] .

ومن أبرز الطلاب الدارسين في قرطبة الراهب جربير ، والذي استطاع أن يشق طريقه بما أوتي من فضائل نفسية ومواهب عقلية ليصبح ناظر المدرسة ريمز الأسقفية ، ثم أستاذاً وناصحاً للأباطرة ، ثم أسقفاً لراڤنا ، وأن يتربع أخيراً على عرش البابوية في روما تحت اسم سلفستر الثاني (999 – 1003 م)[3] .

لذلك كان له دور كبير في نقل كل ما تعلمه بجامع قرطبة إلى أوروبا ، بعد ترجمته إلى اللغة اللاتينية ، حيث قام بنقل الأرقام العربية ، وعلم الفلك ، والموسيقى إلى إيطاليا وفرنسا[4] ، ومنها انتقلت إلى باقي الممالك الأوروبية .

لهذا تركت حركة الترجمة والنقل أثراً واضحاً في اللغة الفرنسية ، حتى أن اللهجات السائدة بأوفرن ، وليموزان ، محشوة بالكلمات العربية ، كما أن أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربية واضحة[5] ، ومن الطبيعي أن يحدث فيها بعض التحريف عند النقل أو عند نطقها خصوصاً أن حرف الكاف والقاف والخاء كان يكتب بالفرنسية بحرف C، والاستعانة بحرف K ، أما تأثيرها في اللغة الإنجليزية، فإن هناك حوالي ألف كلمة ذات أصل عربي ، وآلاف أخرى مشتقة من هذه الكلمات انتقلت من العربية بعد التحريف والتعديل في النطق ، وهناك حوالي مائتين وستين كلمة من الألف في الاستعمال اليومي ، ومنها على سبيل التمثيل وليس الحصر :

1- جلال مظهر ، المرجع السابق ، ص 495 .

2- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، الإسلام والثقافة العربية في أوروبا، عالم الكتب ، القاهرة ، 1979 م، ص 204.

3- جلال مظهر ، المرجع السابق ، ص 496 ، كذلك محمد لبيب البتنوني ، رحلة الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (د.ت) ، ص 177 .

4- عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ، ص 292 .

5- جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 441 .

سكر	Suger	،	قميص	Camise
عطار	Attar	،	جرة	Jar

وهناك غيرها الكثير من الألفاظ العربية ، التي أدرجت في اللغات الأوروبية بمختلف المجالات العلمية ، ولا مجال الآن في هذا الفصل لتعداد الكلمات الإسبانية والبرتغالية والإنجليزية والفرنسية المقتبسة من اللغة العربية ، حيث استمد الأسبان معظم أسماء الرياحين والأزهار من العربية ، ومن جبال البرتات انتقلت كلمات عربية كثيرة إلى فرنسا كالبرقوق والياسمين والقطن والزعفران[1] ، وكانت أكثر المناطق تأثرا باللغة العربية هي أسبانيا ، لأنها أكثر المناطق الأوروبية التصاقا بالمسلمين .

ويعود الفضل لحركة الترجمة والنقل إلى نقل العلوم والمعارف إلى الممالك الأوروبية ، التي بدأت بشكل فعلي من بغداد ثم بقرطبة ، إذن فأوربا مدينة للعرب بحضارتها[2]، إلا أن البداية الفعلية لحركة الترجمة والنقل إلى اللغة اللاتينية كانت في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، واستمرت طيلة القرون التالية[3].

ب) إرسال البعثات العلمية وفتح السفارات :

عقب النهضة الثقافية التي سادت قرطبة ، توافدت البعثات العلمية الأوروبية من مختلف مقاطعات أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وغيرها من الممالك الأوروبية ، خلال عصر عبد الرحمن الأوسط ، وتتابعت هذه البعثات الطلابية من أوروبا إلى المراكز الثقافية بقرطبة[4] .

كان أبرز هذه البعثات التي جاءت إليها من مملكة البشكنس - طوطلة - في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث سنة (347 هـ/958 م) مصحوبة بحفيدها غرسيه ابن شانجه ، الذي كان يشكو من بدانة مفرطة ، مما نفر منه رعيته ، فعالجه طبيب الناصر حسداى ابن شبروط اليهودي من مرضه ، فلم يكن له علاج

1- عبد الفتح مصطفى غنيمة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 65 – 68 .
2- جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 566 .
3- عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 34 .
4- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 245 .

في غير قرطبة لشهرتها بهذا المجال ، وهكذا استعاد غرسيه وسامته وعرشه، وأصبح شانجه الأول (345 - 350 هـ/956 - 961 م) ملكا على نبارة[1] .

إذا كان الهدف من إرسال البعثات العلمية . هو دراسة الكتب النادرة ، واستقدام كبار العلماء للإسهام في الحركة العلمية ، أو تسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقي العلم في الجامعات الكبرى ببغداد وقرطبة ، ولم يقصد بالبعثات امتداد الدراسة والعلم فحسب ، بل امتدت إلى دراسة الأماكن التاريخية التي تتعلق بأحداث العرب ، ومن أشباه هذه البعثات العلمية ، البعثة التي أرسلها الخليفة الواثق إلى أقسوس بآسيا الصغرى ، والتي كانت تابعة للدولة الرومانية ، لكي يتمكن العلماء المسلمون من زيارة الكهف الذي أوى إليه أصحاب الكهف[2] .

أما فتح السفارات بين خلفاء وأمراء الدولة العباسة والإمارة الأموية – فيما بعد أصبحت الدولة الأموية – والممالك الأوربية فقد كانت هذه السفارات ما بين البلاطين الفرنجي والعباسي ، تتخذ صورا مختلفة ، وأول هذه السفارات كانت بين الملك بيبين القصير (135-151هـ/752- 768م) والخليفة جعفر المنصور عام (148هـ/765م)[3] .

أما السفارة الثانية ، فقد كانت ما بين شارلمان (151-199هـ/768-814م) وهارون الرشيد في سنة (181هـ/797م) ، واستمر توافد السفارات بينهم إلى سنة (192هـ/807م)[4] .

ويلاحظ أن شارلمان كان هو المبادر إلى إرسال السفارات إلى الخليفة الرشيد ، وإنما جاءت سفارات الرشيد إلى شارلمان ردا على ما سبق إليه من إيفاد مبعوثيه في كل مرة .

1- أمين الطيبي ، المرجع السابق ، ص 40 ، كذلك وفاء مفتاح الحصناني ، دور الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البيان الأول، بنغازي، 2006-2007 م، ص89.

2- عز الدين فراج ، المرجع السابق ، ص 150 .

3- لويس باروتولد ، دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى . تر ، غريد حداد ، مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد ، بغداد ، 1973 م ، ص ص 78 – 79 .

4- سليمان ضفيدغ الرحيلي ، العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، مكتبة كلية الآداب ، القاهرة ، 1981 م ، ص ص 104 – 105 .

كذلك يلاحظ أن عدداً من سفراء شارلمان إلى الرشيد قد ماتوا في طريق عودتهم ، وقد يكون بسبب مخاطر الحرب بين الدولة العباسية وبيزنطية ببحر الروم (البحر المتوسط) ، ووجود الأسطول البيزنطي ، مما يهدد المسافرين في ذلك البحر ، الأمر الذي دفع(السفراء)[1] القادمين من بلاد الفرنجة وقتذاك إلى أن يسلكوا طريق سواحل الأندلس وإفريقية ومصر في طريقهم إلى بغداد[2] .

وقد تكون وفاة أولئك المبعوثين بسبب انتشار الأوبئة ، حيث أن الطاعون انتشر في القسطنطينية في القرن الثامن الميلادي عن طريق جزيرة صقلية ، كما أن طول الرحلة واختلاف المناخ بين أراضي دولة الفرنجة وبغداد مقر الخلافة العباسية أثر في ذلك[3] .

وربما كان موت أولئك السفراء الذين قابلوا الخليفة مباشرة من العوامل التي أدت إلى ضآلة النتائج التي حققتها هذه السفارات ، إن لم تكن لها نتائج على الإطلاق[4] .

أما بالنسبة للسفارات المتبادلة بين المأمون ولويس التقي (199 - 226 هـ /814 - 840 م) كانت بهدف طلب السلم والمهادنة[5] .

إذا الهدف من السفارات التي كانت موجودة ما بين الدولتين الرومانية والعباسية ، هو طلب السلم والمهادنة[6] ، يرى الباحث جميل نخلة المدور ، أن دوافع تلك السفارات بين شارلمان والرشيد ، هي محاولة لعقد حلف بينهما يرمي إلى وقوف شارلمان ضد الدولة الأموية بقرطبة ، ووقوف الرشيد ضد الدولة

1- لم تطلق هذه الكلمة بمفهوم اليوم ، إنما كان الوافدين على الخلفاء والأمراء فأغلبهم من تجار ، وأحياناً من رجال العلم والدين = بارتولد ، المرجع السابق ص 144 .

2- أبو عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، تر ، دي غويه ، ليدن ، 1889 م ، ص ص 153 – 154 .

3- سليمان ضفيدع الرحيلي ، المرجع السابق ، ص 108 .

4- نجيب صالح عبد الدائم ، العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول (132-232هـ /749- 846م) ، الجانب السياسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة التحدي ، سرت ، 2006 – 2007 م ، ص 79 .

5- سليمان ضفيدع الرحيلي ، المرجع السابق ، ص 131 .

6- السيد الباز العريني ، بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثالث ، القاهرة ، 1959 م ، ص ص 148 – 149 .

البيزنطيـــة ، بحكم عـداء كل من الفرنجة والعباسيين للأمويين بالأندلـــس وللبيزنطيين معاً[1] .

كانت السفارات متبادلة ما بين الدولة الكارولنجية والدولة العباسية ، تحمل معها الهدايا – مثل : أقمشة حريرية ، والعطور ، والبخور ، وساعة مائية ، وفيل[2] - فمن المعتقد أنه كان لهذه الهدايا أثر كبير على الممالك الأوروبية ، وخاصة أن هذه الأشياء لم تكن معروفة عندهم .

في حين كانت العلاقات الدبلوماسية بين الممالك الأوروبية ومسلمي قرطبة عدائية ، ولاسيما في السنوات الأولى في عصر عبد الرحمن الداخل بقرطبة ، إلا أن السفارات جرت بين الأمير عبد الرحمن الداخل وشارلمان ملك فرنسا في الأيام الأخيرة من حكم الأمير عبد الرحمن الداخل هدفها هو السلام بينهما[3] .

ولكن هذه العلاقات انقطعت من جديد في عصر الأمير هشام الأول ، بسبب غزوات الفرنجة على شمال أسبانيا ، إلا أن الأمير الحكم أرسل سفـارة سنة (197 هـ/812 م) إلى أكس لاشابل عاصمة الدولة الفرنجية ، للتفاوض مع ملك فرنسا شارلمان لإحلال السلام بين الطرفين ، وبما أن الفرنجة شنوا هجمات على الثغر الأعلى – أراغون – بالتعاون مع الملك الفونسو الثاني ملك البشكنس ، فإن السلام لم يدم طويلاً ، ومع ذلك أرسل الأمير الحكم في عام (201 هـ/816 م) سفراء إلى الملك لويس التقي في فرنسا لطلب الصلح[4] .

بالرغم من ذلك فإن هذا الصلح لم يدم طويلاً ، حيث قام الملك لويس التقي بنفسه إلى غزو ماردة في شمال أسبانيا ، ولكن هذا الصراع انتهى بمجرد وفاة لويس التقي سنة (226 هـ/810 م) ، وتولى حكم فرنسا أبناؤه الثلاثة ، منهم شارل الأصلع ، والذي عمل على إرسال السفارات إلى عبد الرحمن الثاني وابنه محمد ، فيما بعد طلباً للعـون والمساعدة ضد أخواتـــه[5] ، إذن كانت السفارات في

1- حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1986 م ، ص ص 211 – 213 .
2- بارتولد، المرجع السابق، ص ص 134- 135، كذلك سليمان ضفيدع الرحيلي، المرجع السابق، ص137.
3- زكي محمود غيث وآخرون ، محاضرات في التاريخ الإسلامي ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، 1955 م ، ص ص 29 – 32 .
4- محمد محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس في أواخر القرن العاشر الميلادي مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 م ، ص ص 236 – 244 .
5- المرجع نفسه ، ص ص 236 – 244 .

عصر الإمارة مقتصرة على الدولة الفرنسية فقط دون الممالك الأوروبية الأخرى، ربما بسبب أن بعض الممالك الأوروبية ظهرت بعد وفاة عبد الرحمن الثاني وابنه محمد ، وذلك بسبب الصراعات على حكم أسبانيا ، الأمر الذي ساعد النصارى على امتلاك بعض المناطق في أسبانيا .

بينما عج بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر بالسفارات من كل الأنحاء ، منها سفارة الملك لويس الرابع ملك ليون ، للتفاوض وعقد معاهدة سلام وصداقة ، بعد أن تبوأت قرطبة مكانة هامة بين مدن العالم في القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي ، وسفارة هيو العظيم ملك الجزء الغربي من الإمبراطورية الفرنجية إليها لنفس الغرض ، في حين كان الهدف من سفارة الملك أوتو الكبير ملك ألمانيا ، إيقاف غارات المجاهدين على أوروبا[1] .

استمر توافد السفارات على عصر الخليفة الحكم بن ناصر ، وقد ظلت العلاقات بين الخلافة الأموية والدولة الفرنجية تسير بطريقة عادية ، لا أثر فيها لمعارك أو قتال أو عداء ، وفي حقيقة الأمر لا نجد في المصادر العربية ما يؤكد وصول سفارات من قبل الفرنجة في فرنسا ذاتها إلى بلاط قرطبة على هذا الخليفة ، غير أنه من الثابت أن الحكم استقبل سفارات متعددة من حكام غاليسيا ، وقشتالة ، ونافار ، وبرشلونة ، للتفاوض معهم على السلم بدل الحرب ، كما قدمت إليه سفارة أو اثنين من الإمبراطور أوتو ملك ألمانيا سنة (360 هـ/970 م) ، وسنة (363 هـ /973 م)[2] .

وما دام الأمر كذلك فمعناه أن الصداقة كانت قائمة بين الخليفة الحكم وعاهل ألمانيا ، وهي التي اهتم بتنميتها وحرص عليها سفراء ألمانيا من قبل ، فلابد وأن الخليفة الحكم فضل استمرار السلام مع حكام الممالك الغربية في أوروبا .

إذن كانت العلاقات بين دولتي أوروبا والمسلمين بقرطبة على عصر الناصر وابنه الحكم الثاني ودية اقترنت بحسن الجوار وحلول السلام والصداقة ، وما يدل على ذلك أن تسعة عشر من الأعمدة التي استخدمت في أبنية المدنية الزهراء كانت

1- زكي محمود غيث ، المرجع السابق ، ص ص 87 – 79 .
2- محمد محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 280 ، 281 .

قد طلبتها قرطبة من بلاد الفرنجة التي جاءت على سبيل هدايا قدمت لها تعبيرا عن الروح المودة والألفة بين الدولتين[1] .

وعلى الرغم من أننا لا نجد آثارا علمية في تبادل هذه السفارات ، إلا أن هذه السفارات كانت عاملا مساعدا على الاستقرار والطمأنينة في التنقل ما بين الدول العربية والأوروبية ، وهذا ما ساعد على نقل التراث العربي إلى أوروبا .

ج)صناعة الـــورق :

تعد صناعة الورق ، من أهم التأثيرات العلمية التي قدمتها الصلات الثقافية بين البلدين ، إذ لولا الورق لما كانت الكتب قد انتشرت بين الناس ، فقد كانت الكتابة على ورق البردي ، أو على الرق (الجلد الرقيق)[2] .

أخذ العرب صناعة الورق عن الصينيين ، حيث أنشأ الخليفة هارون الرشيد في بغداد أول مصنع للورق في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، ومن بغداد انتقلت إلى الأندلس[3] .

أهم مركز لصناعة الورق في مدينة شاطبة – قرب بلنسية – بشرق الأندلس ، وعُرف هذا الورق بالورق الشاطبي[4] ، وبلغ من جودته أنه خصص لكتابة الوثائق ، وإلى جانب جودة نوعه أشتهر برخص ثمنه[5] .

عرف أهالي الأندلس صنفين من الورق وهما : الكاغد ، وهو ورق عادي ، والرقاق ، وهو ما يعرف بالبارشمان ، يختلف عن الكاغد في متانته وسمكه وصلابته ، ومن الأندلس وصلت الرقاق الشاطبية إلى كافة نواحي أوروبا ، وطلبتها البابوية لكتابة الأناجيل ووثائق الكنيسة عليها ، ثم قلدهم بعد ذلك الرومان[6] .

1- محمد محمد الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 252 – 259 .

2- رحاب إبراهيم سليمان عيسى ، أبرز العلماء العرب والمسلمين وماذا قدموا للعلم ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2003 م ، ص 159 .

3- أنيس الأبيض ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، جروس برس ، لبنان ، 1994 م ، ص 18، كذلك أمين الطيبي ، المرجع السابق ، ص ص 26 – 27 .

4- الإدريسي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 556 .

5- عمر فراج، المرجع السابق ، ص 295 ، كذلك حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 384.

6- المرجع نفسه ، ص ص 384 – 385 .

ربما كانت صناعة الورق أخر ما أدخله البغداديون إلى الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي ، مما ساعد الأوروبيون على نقل التراث العربي ، ونشر الذخائر العلمية النفسية[1] .

أما تأثيرات فن العمارة القرطبية في الغرب ، تتمثل في مسجدها الجامع الذي كان موضع تعظيم أهل الأندلس والمركز الديني الأول في البلاد ، بحيث تمكنت التقاليد الفنية القرطبية التي تأصلت زمن الخلافة الأموية أن تصل إلى أسبانيا المسيحية وفرنسا ، وتتمثل هذه التأثيرات في شيوع استخدام العقد المنفوخ المتجاوز لنصف الدائرة يحيط به إطار مستطيل ، والنوافذ المزدوجة ذات العقدين التوأمين ، بالإضافة إلى القباب القرطبية ذات الضلوع البارزة التي ظهرت في كنائس جليقية ، وكنيسة سان ميجل دى أسكالادا بمملكة ليون ، التي أسسها القس الفونسو مع بعض الرهبان الذين هاجروا من قرطبة في عام 913 م ، وتتكون الكنيسة المذكورة من ثلاثة أروقة تفصل فيما بينها صفوف من العقود المتصلة ، من النوع المنفوخ المتاوز لنصف الدائرة ، تقوم على عمد على النحو الذي تشاهده في بلاطات مسجد قرطبة ، ويشكل مقدم الكنيسة ثلاثة مصليات عقودها منفوخة ، ويعلو حنية الكنيسة من الخارج بظلة بارزة تحملها كوابيل ذات لفائف تشبه الكوابل القرطبية ، وفي كنيسة سانتا ماريا دى لينبيا Santa Marinade Lebena التي أقيمت في سنة 930 م ، ظلة تقوم على كوابيل ذات لفائف تحتشد فيها الزخارف ، ويتوسط كل منها شريط مزين بتوريق متموج ، على نحو كوابيل جامع قرطبة منذ عصر عبد الرحمن الناصر[2] .

إن انتشار العقد ثلاثي الفصوص في فرنسا ، وكان مركز انتشاره في كاتدرائيات بلدة بوي Puy ، ومقاطعة أفرنجي Auvergne ، والأمر الذي يدل على وجود تأثير مباشر من جامع قرطبة ، هو ظهور هذه العقود القرطبية مع تناوب الألوان ، وظاهرة تقليد الكتابة الكوفية في طرة أبوابها[3] .

1- سلمى الحفار الكزبري ، الحضارة العربية في الأندلس كما يراها الأسبان المعاصرون ، مجلة العربي ، تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 380 ، يوليو ، 1990 م ، ص 38 .

2- السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج2 ، ص ص 40 – 41 .

3- المرجع نفسه ، ج2 ، ص 48 ، كذلك أنيس الأبيض ، المرجع السابق ، ص317 .

ويتجلى تأثير القباب ذات الضلوع ، والبلاطات المتجهة عموديا على جدار القبلة ، في المقاطعات الفرنسية الجنوبية ، حيث تتجلى بحق في كنائس جاسكونيا ، وأنجو أكيتانيا ، ونورماندى[1] .

وليست القباب ذات الضلوع ، والبلاطات المتجهة عموديا على جدار القبلة ، وهو وحده الذي يعكس تأثير الجامع الكبير في قرطبة في هذه الكنائس والكاتدرائيات ، بل أن هناك أيضا الزخرفة ذات الألوان المتعددة على الجدران الخارجية ، والنباتات المرسومة على الطراز العربي[2] .

ومثلما أثر الفن الإسلامي في أسبانيا وفرنسا ، نجده قد أثر في إنجلترا أيضا، حيث أن الملك أوفا ملك ميرسيا (727 – 776 م) بضرب العملة الذهبية ، على كل وجه من وجهي دينار توجد ثلاث سطور كتبت بالكتابة الكوفية ، وتكاد تكون صورة " كاملة " للدينار الذي أصدره الخليفة أبو جعفر المنصور ، وتحمل هذه الصورة من الدينار الإنجليزي تاريخ سنة (156 هـ/744 م)[3] ، ربما يكون هذا الدينار وصل إلى إنجلترا عن طريق الهدايا التي قدمها الخليفة إلى الممالك الأوروبية ، أو عن طريق التجار العرب .

1- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 399 .
2- أنيس الأبيض ، المرجع السابق ، ص 316 .
3- المرجع نفسه ، ص 317 .

الخاتمـــــة

الخاتمـــــة

إن السر الذي يكمن في (بغداد) كعاصمة للخلافة العباسية ، أنها جمعت بين حسن الموقع ، واعتدال الطبيعة ، وتباين المجتمع ، وعمارة الأسواق ، وتصارع الأفكار ، وتصادم الآراء ، وتمازج العقول ، وتقبل الغرباء والترحيب بالأصدقاء ، ومحاربة الأعداء ، وإلى ندوات العلم العامرة ، ومنائر الدين الشامخة، ومعاهد المعرفة السامقة ، ومساجد التقوى الواسعة ، وجوامع الفضيلة الهادية ، وخزائن الكتب المزدحمة ، وأسواق الوراقين المتعددة إلى مستشفيات ومصحات ، ومنتزهات ، وفنادق ، وحمامات ، كلها تدعو للعلم والإيمان والفضيلة والصحة والرعاية بالمرضى والعجزة والمنقطعين والبائسين ، ويقابل ذلك حب الخلفاء والأمراء والقادة والحكام ، للعلم والمعارف ، والعناية والرعاية بالعلماء والأدباء والشعراء ، وكان من أبرزهم ، المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والمأمون ، لهذا وصفها ياقوت الحموى ، بأنها " أم الدنيا وسيدة البلاد ، ومدينة السلام ، وجنة الأرض ، وقبة الإسلام ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف "[1] .

هذا الطرف الشرقي من العالم الإسلامي ، (العراق) و عاصمته بغداد .

أما في الطرف الغربي من العالم الإسلامي ، فتطل علينا (قرطبة) الأندلسية عاصمة الإمارة والخلافة الأموية ، وما حل بها من أمراء الطوائف ، والدول من المرابطين والموحدين ، ويصفها ابن حوقل الموصلي في رحلته ، حيث قارن بينهما وبين بغداد فقال : " هي أعظم مدينة بالأندلس ، وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة أهل ، وسعة محل ، وفسحة أسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق "[2] .

ووصفها صاحب الروض المعطار في موسوعته الجغرافية بأنها " قاعدة الأندلس ، وأم مدنها ومستقر خلافة الأمويين ، وآثارهم بها ظاهرة ، وفضائل ومناقب خلفائها ، أشهر من أن تذكر ، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس ، اشتهـــروا

1- معجم البلدان ، ج1 ، ص ص 541 – 542 .
2- المصدر السابق ، ص 107 .

بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزي ، وحلو الهمة ، وجميل الأخلاق ، وكان فيها أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وتجارها مياسير ، وأحوالهم واسعة ، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى (جبل العروس) "[1] .

واستمر يصفها ويصف جامعها الكبير فقال : " وبها الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، وأحكام صنعة وجمال هيئته ، وإتقان بنية ، صار يحار فيه الطرف ، ويعجز عن حسنه الوصف ، وليس في مساجد المسلمين مثله تنسيقاً وطولاً وعرضاً "[2] .

ومثلما تنافس الشعراء البغاددة من المشارقة في وصف مدينتهم (بغداد) رأينا الأندلسيين أخذوا يجارون أهل بغداد ، في وصف (قرطبة) ومدحها قال : الشاعر عبد الحق بن عطية الغرناطي ويصفها مادحاً :

بأربَعٍ فاقتِ الأمصارَ قُرْطُبـةٌ منهنَّ قنطرةُ الوادي ، وجامعُها

هاتانِ ثنتان ، والزهراءِ ثالثـــةٌ والعلم أكبر شيء ، وَهْو رابعُهما[3]

ومن خلال هذه الدراسة يمكن إبراز أهم النتائج التي وصلت إليها :

1) أوضحت الدراسة أن الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة ، أمراً منطقياً وطبيعياً ، لأن بغداد كانت خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، حاضرة الخلافة ، وقرطبة إمارة من الإمارات التي كانت تابعة للخلافة العباسية ، وحتى عندما انفصلت عنها مذهبياً ثم سياسياً ، لم تنفصل عنها ثقافياً .

2) أن صاحب الفضل الكبير في فتح أبواب قرطبة أمام الثقافة البغدادية العراقية ، كما اتفقت عليه معظم (المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة)[4] ، إنما هو الأمير عبد الرحمن الأوسط ، الذي تولى السلطة عام (206 هـ/822 م) ، واتسع مجال النشاط الفني والأدبي في عهده ، لأنه كان مثقفاً ، شاعراً محباً للفلسفة والشريعة .

3) انتقلت التأثيرات البغدادية إلى قرطبة عن طريق ثلاثة طرق هي :

أ- البعثات من قرطبة إلى بغداد ، ثم العودة إليها بعد التزود بالعلوم والمعرفة ، لنشر ما حملوه من هذه المعارف .

1- الحميري ، ص 153 – 155 .
2- المصدر نفسه ، ص 154 – 155 .
3- المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 152 .
4- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 91 ، كذلك ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 52 ، ابن بيضون ، المرجع السابق ، ص 251 .

ب- عن طريق جمع الكتب ، وهي أهم وسائل النشاط العلمي .
ج- استدعاء علماء بغداد إلى قرطبة .

4) استعرضت الدراسة عدد من المؤسسات ومراكز الثقافة البغدادية التي أثرت على الحركة العلمية والأدبية في قرطبة ، حيث كانت أبواب بيت الحكمة ، والنظامية مفتوحة أمام الوافدين إليها من قرطبة ، لتلقي العلم على جلة العلماء والمشهورين في مختلف حقول الثقافة ، واللغة ، والفقه ، والأدب ، وغيرها من فنون المعرفة الإنسانية والعلمية ، ومنهم العالم الحديث الحميدي الذي عاش في بغداد ، وتتلمذ على الخطيب البغدادي ، وتلقى العلم على طبقة أخرى من مشاهير العلماء ، وألف كتابه الشهير (جذوة المقتبس) في بغداد ، ولم يغادرها وفضل البقاء فيها حتى مات ، ودفن في تربتها ، وغيرهم من العلماء الوافدين على بغداد .

5) إن بغداد هي صاحبة الفضل في نقل الثقافة العربية إلى قرطبة ، فلقد كان العالم في قرطبة لا يجد له منزلة بين قومه ما لم يكن قد زار بغداد ، واتصل بها عن طريق الرحلة والدراسة والتحصيل والزيارة .

6) من خلال تصفح كتب التراجم الأندلسية – التي توفر لي الإطلاع عليها – وجدت أسماء العلماء الذين رحلوا إلى بلاد العراق في سبيل العلم والتمكن من الجوانب العلمية المختلفة وتأكد لي أن الحصيلة التي كان يأتي بها طالب العلم من رحلته تختلف بطبيعة الحال من عالم إلى آخر .

7) أثمرت الرحلات العلمية للأندلسيين علماً واسعاً ومعارف غزيرة ، فنتيجة لهذه الرحلات دخل المذهب المالكي إلى قرطبة ولقي قبولا وتأييداً واسعين ، وأصبح المذهب الرسمي السائد الذي كفل للقرطبيين الوحدة المذهبية والاستقلال المذهبي ، وقاوموا ما عداه من مذاهب ، ونظراً لإقبالهم عليه نتج عنه الدراسات والشروح ، كما برزت دراسة علم الحديث ، حيث تعد رحلة بقي بن مخلد نقطة تحول في حركة الدراسات الدينية ، ومن بينها علم الحديث ، حيث أدخل الرحالة الأندلسيون عدة كتب فيه ، كما ادخلوا علم القراءات السبعة للقرآن الكريم والتفاسير، فإلى جانب كتب التفاسير البغدادية ، التي أدخلها بعض العلماء الأندلسيين ثم قاموا بتلخيصها واختصارها على نمط التفاسير التي قدمت إليهم من العراق .

8) كان للصلات الثقافية أثراً كبيراً في اقتباس الأندلسيين لما وجدوا من تيارات كلامية ، وكان لاحتكاكهم بعلماء العراق وتأثرهم بالمجالس العلمية ، وما يدور في

بعضها من مناظرات وجدال بين المتكلمين وتأثرهم بالعقائد ، فبرع الكثير منهم بأصول الجدل كأبي الوليد الباجي ، وظل صدى المجادلات الفكرية بين علماء الدين وعلماء المذهب الظاهري يتردد لقرون ، مما أثرى الحياة الفكرية في قرطبة .

9) لم تقتصر رحلة الأندلسيين على أخذ العلوم الدينية ، بل تعداها إلى علوم أخرى كعلوم الأدب واللغة ، وتأثر الأدب الأندلسي بالإنتاج الأدب العراقي في بعض الفترات من تاريخه ، فألف الأندلسيون فيه أكثر ما ألفوا في العلوم الأخرى كالعراقيين وجلبوا من العراق نفائس الكتب والمصنفات الأدبية والشعرية ، من بينها الدواوين الشعرية كديوان المتنبي ، التي كان لها أثراً في دفع عجلة النشاط الأدبي في قرطبة ، ودفع الأندلسيين إلى ميادين البحث والتأليف في الأدب والشعر والنثر ، بعد استفادتهم من مطالعة الكتب العراقية ومصنفاتهم وشروحهم ، فاخترعوا الموشحات التي أخذها عنهم البغاددة ، حيث يعد هذا الفن الجديد ثورة في الشعر العربي ، وحركة من حركات التجدد التي حررتها من قواعد العروض ، ويعد هذا الفن الأندلسي من الفنون المتميزة التي لازلت حتى يومنا هذا منتشرة في المشرق والمغرب .

10) كان لازدياد حركة نقل الكتب العراقية إلى الأندلس أثراً على نمو الصلات الثقافية وتقويتها بين الطرفين مع مؤلفي الكتب العراقية ، فرحلة الأندلسيين لطلب العلم إلى بغداد كان لها أثراً كبيراً في نمو الحركة العلمية وبلورتها في قرطبة ، ورجوع العلماء بمصنفات عراقية ، وعكوفهم على دراستها سواء في العراق أثناء رحلتهم أو بعد عودتهم إليها ، وفتح حلقات تدريس العلوم وشرح المصنفات العراقية، والتأليف على غرارها ، والنسج على منوالها ، بلغ بقرطبة مكانة رفيعة ، حيث تمكنوا من سد النقص الذي أوجدته المسافات بينهم وبين المراكز الثقافية في العراق ، غير أن هذا التيار العراقي لم يستمر في التأثير في أهل قرطبة ، دون أن يؤتي أكله ، فقد عملت الصلات على ازدياد روح النقد لدى الأندلسيين ، ففي بادئ الأمر كانوا ينظرون إلى كل شيء قادم من العراق باحترام وإعجاب ، ولكن باطلاعهم عليه ازداد اهتمامهم بالتحري عنه ونقده نقداً علمياً ، فلم يعد يقبل كل شيء قادم من بغداد على أنه صحيح ، أو أنه أمراً مسلماً به ، فقد انتقد علماء الأندلس العالم اللغوي البغدادي الصاغد وأثبتوا قصوره في التأليف .

11) شكلت قرطبة منافسة خطيرة لبغداد ، كادت أن تسلب منها دورها ، وخاصة إذا عرفنا أن قرطبة كانت أكثر انفتاحا مع أوروبا .

12) تعرفت أوروبا من خلال الصلات الثقافية بين بغداد وقرطبة على الكثير من المعارف والمكتشفات العلمية ، مما سهل على الأوروبيين الكثير من الجهد والوقـت ، وصارت آراء الكتاب وعلماء العرب المسلمين هي النواة التي قامت عليها النهضة الأوروبية .

Preface

Through out its long history , the Islamic nation had different relations in numerous fields , with many nations in the world known at that time , since the establishment of that nation at the era of the prophet Mohammed – *piece be upon him* ~ his delegations traveled at the sixth hegira year carrying his massages to the heads of great nations , and adjacent nations to the Islamic state , calling them to Islam and peace.

The most that distinguishes the Arab history in the middle era , is its link to a civilized heritage accompanied it through out its different stages , and if any one could reward the Arab Civilization for any thing , the sciences would be its greatest and the most honorable , the language and **philology** (Figeh) takes the lead between all sciences that gave to the Arab culture a wide civilized dimension.

For this reason , the Moslems took good care of them , and they worked their best to establish and develop them in all places that they visit , in fact they hoped that this culture reaches all European regions , and that what actually happened , as we will see in the parts of this research.

The relations of Islamic countries with each other still need a wide study , and a profound search , especially in different cultural fields of different nations in the world , in different Islamic eras , and this by relying on information in Historic Islamic references , although it is rare ,

and historic references of nations connected to Islamic nations , for example Byzantine , French , and normandian

We also hope , in this research , that we study some of the relations of the Islamic nations at one of the most glorious eras , which is the Abbasid era in fields of cultural relations with some of the nations of the world , which include the roman empire at the time of that Abbasid period , the Carolingian empire , and the Umayyad nation in Cordova , this in order to prove that the history – in general – and the Islamic history - in particular – does not only care for political fields only , but the human life history in its different sides , that I found in the cultural side which is the subject of this study.

The reason for choosing this subject as my Masters thesis is as follows:

1- My own wish , as specialized in history in general and Islamic history in particular , to study the cultural subjects , for they are interesting , smooth , and diverse information in many scientific fields.

2- The support of my dignified teachers from whom I learned in the Diploma stage , and the practical works preparations stage , the were a great help for me in eliminating some of the confusion in the my beginnings , so they directed me to the right way when I told them my desire to deal with one of the sides of the Islamic culture .

3- In spite of what have been written about the Islamic culture , the cultural side especially in Cordova , is not designated by a subjective scientific study.

4- Our need to study subjects connected to communication and interacting between cultural types in different Islamic centers , and the extent of its effect on the external world especially Europe.

5- The importance of this subject , is through what it offers in an important side of the Islamic history , which is culture .

6- The reason for choosing this period of the century (2-5 hig / 8-11 greg.) is that it is one of the most important and most glorious historical and literature periods which Baghdad and Cordova have lived , the (2nd heg. / 8th greg.) century considered the actual start of the two nations ; Abbasid in Baghdad , and Umayyad in Cordova , and in the (5th Hig. / 11th greg.) century witnessed the weakness of the Abbasid rulers in Iraq , and the end of the Umayyad succession in Andalusia

This study aims at answering the following questions :

1) How did the political situation on affected the cultural relations between Baghdad and Cordova ?

2) What are the most imminent factors that helped in crystallizing the cultural relations between the two nations ?

3) What are the reasons that lead the andalusite scientists to emigrate to Baghdad ?

4) What are the reasons that lead the Baghdadi scientists to leave to Cordova ?

5) Did the Baghdadi scientists and authors have any effect on the cultural life in Cordova ?

6) Did the Baghdadi writings have any affect on Cordova ?

7) What is the effect of the cultural connections between Baghdad and Cordova on Europe ?

8) Did the Baghdadi Poems have any effect on Europe ?

9) Did the transfer of the paper industry caused great effect on Europe?

Concerning the mythology of study which I followed , it verified as to the diversity of the research requisites , between the analytical method , and the descriptive method in some of the research sides , and the analytical comparative in other sides .

I faced several difficulties in writing this research , assimilated in the scarcity of the written subject in many of the research parts , especially concerning the cultural situation in Cordova before the establishment of the Umayyad nation in Andalusia , the Islamic schools and hospitals in Cordova during the era of Umayyad , and the impressions of scientists who traveled to Baghdad then returned back to Cordova.

The previous studies which dealt with some sides of this subject are :
1- Research (eminent men from Andalusia in Baghdad) , by Muhsen Jamal Eddin , published in Almawrid magazine , 4th edition, issued by Ministry of culture and media , Aljaheth house , Iraqi republic , 1979.

This research considered as one if the most important studies which I benefited from in the third chapter of my study , since this research studies the effect of Baghdad on Andalusia in the cultural sides. And studies the effect of the Iraqi scientists and artists who traveled to Andalusia , and affected its literary and social life , and eminent men of andalusia who studied in Baghdad and transferred the sciences to Andalusia.

2- Research (impact of andalusia on Europe in songs and harmony fields) by Abbas Eljerary , Alem Elfiker magazine , 12th book , April – May –

June 1981 , issued by Ministry of culture and media in Kuwait , this research deals with studying the civilized and cultural side , in which the Arabs and Moslems innovated , it also dealt with the participation of the Arab Islamic music in the constructive formation of music in Europe in the middle ages , and the role of that participation in understanding its scientific formation , this researched served me in the fourth chapter of the study.

3- Unpublished Masters thesis , by Wafaa Muftah Alhesadi , titled the role of Andalusia in carrying the Islamic civilization into Europe , Albayan Alawal university , Benghazi . 2006-2007.

This study speaks in details about the role played by Andalusia in carrying the Islamic civilization into Europe , and about the most important roads of Arabic civilization to Europe , and dealt with the effect of human sciences in general on the scientific movement in Andalusia.

This study helped me in the fourth chapter .

4- Unpublished Masters thesis , by Wafaa Awad Saleem Khalifa , titled, the scientific journey from Andalusia to the Arab Islamic East , between the centuries (4 –6 Hig. / 10 – 12 Greg.)

This thesis is considered one of the scientific theses that mentioned the role of Journeys of Andalusites to the east between the centuries (4 – 6 Hig. / 10 – 12 greg.) , I mentioned the most important scientific characters in Andalusia who traveled to east , and the sciences

that the brought to Andalusia , and the results that these journeys gained , this helped me in the third chapter .

In this study I relied on many arabic references , as well as many specialized arabic and non arabic references , its most important are as follows :

1- **The history of Baghdad** , by Elhafes Abu-baker Ahmed Benali Alkateem Elbaghdadi born (463 Hig / 1070) this book consists of fourteen parts , dealing with the description of Baghdad since its foundation , the news about Successors , ministers , Amirs , and scientists who lived in or came to since the period of its founder Abu-Jaffer Almanssour til the the author's time , the importance of this book goes back to its being an eye witness on the period that he lived in Baghdad , which I mentioned in this study , there for this helped me a lot in the second and third chapters.

2- **The Ammunition on the good characteristics of Jazeera people** , by Abu-Alhassan Ali Alshantrene , best knowen as Ibn Bassam (born 542 hig / 1147).

Its considered as one of the important literary and historic references that dealt with autobiographies of Jazeera people , the reason goes back to the important citations which he mentioned in his autobiography of Andalusia authors and Poets during the Umayyad state in Andalusia , in addition to the authors and poets who came to Cordova from Baghdad , we used this book on the third chapter.

3- the Dictionary of countries (born 620 hig. / 1230).

This book is one of the most famous geographic books , and one of the most rich in its scientific subject , in which the author examined names of most of the countries , villages , mountains , valleys , seas , rivers and brooks , he sorted it in alphabetic order , taking into account sequence of order in the first letter then the second letter etc. , he also gives the exact name of the place , and its origin , giving examples if any from the holy Koran , or the honorable Sunna , and he cites all that is connected to it from poets , writings , proverbs or sageness , and relates any thing connected to it of historical or human happenings , therefore , its considered as a Geographic , literary , and lingual encyclopedia , it helped in defining some of the cities mentioned in this thesis .

4- The perfect about history , by Abu- alhassan Ali Ben- mohammad Eljazri (Born 630 hig. / 1232).

This is one of the best books in Islamic world history , in the same arrangement as (Alhawleeat) , it's a very complete source to many of history studies , especially the political and the military studies , which we can not find in other authors writings , this helped me in the second chapter.

5- the Wonderful eloquence about the news of Andalusia and Maghrib, by Abu- Alabass Ahmad Ben-Mohammad Bin-Azari Elmarakshi (was alive at 712 hig. / 1312) , this book contains many news about Andalusia , considered one of most important books about what the Umayyad Amirs and Khalifas done in Cordova , and the cultural role that the Eljamaa mosque played in strengthening cultural relations with

Baghdad , and its effect on European countries , this helped us in most of the chapters.

6- the scent of Andalusia moist branch , and the mention of its minister Lissan Eddin Elkhatib , to Shihab Eddin Abu Abbis Ahmad Elmugri Eltelmissani (born 1041 Hig. / 1631).

This reference is considered one of the most reliable literary and historical references in Andalusia , it contains a precious historical texts that we do not find else where , it also contains many historical facts about political circumstances that surrounded Moslems in Andalusia , it also contains a great deal of explanations of life of many scientists and authors who traveled from Andalusia to the east and who are coming from Baghdad , the nature of their life and most immanent news and works , therefore I relied on it in all the thesis chapters.

Concerning the references that I relied on , they are many and diverse books , taking as an example :

1- **A history of Spain and Portugal part I** , by Stanley G. Payne.

This book treated a one stage of the research , which is the cultural situation of Spain before the establishment of Umayyad state , in which the author studies the cultural life in Spain , and the stages it went through until the arrival of Muslims to Andalusia , I benefited from this book in the first chapter .

2- **Iraq in the procession of Civilization** , by a group of history teachers.

This book dealt with different researches about the importance of the role that Iraq played in civilization , especially the researches related to the Iraqi impact on Andalusia and Europe , with which the authors

took care , the research also provided a complete and important information about the literary impact , this helped me in the third and fourth chapters of my research.

3- **History of Andalusite thought** , by Anjel Jinthalth Balencia , translated to Arabic by Hussain Muniss .

this book considered in front of what is written about the intellectual movement in Andalusia , it's a comprehensive book of the sides of intellectual movement from the beginning of the history of Moslems in Andalusia til the end lf their rule , that's way this book helped me a lot in most of my study chapters.

4- **Cordova the capital of Khilafa in Andalusia** , by Essaid Abdleaziz Salim , in two parts.

Considered one of the most important references that helped me a lot in my thesis , it's a very precious book , since it makes a comprehensive study of all the history of Arab Islamic rule years in Cordova , it also contains many Arab and foreign references which explains the impacts of Islamic buildings in Cordova in Christian and Islamic arts , this helped me in all the chapters of my research.

5- **The peaceful relations between the Abbasid state & Europe** , by Suliman Dfedee Elrahili , presented a complete explanation about the relations of Abbasid state with the European states , the nature of these relations , and its purpose , the author tried to be accurate and explicit of historical subjects , it helped me in the fourth chapter .

There is also many other references , which its difficult to be mentioned all , which are very important in covering many points in my research . they are mentioned in the list of references .

I divided the study into a preface , four chapters , and a conclusion , as follows :

First chapter : the cultural situations in Iraq & Andalusia before the establishment of the Abbasid state :

This chapter dealt with some definitions of culture , then mentioned the nature of the cultural situation in the two states , and most important educational institutions that existed in Iraq , and talked about the cultural situation in Spain before the existence of the Umayyad state in Cordova .

The second chapter : titled **the factors that helped in crystallizing the cultural links between Baghdad and Cordova .**

In this chapter I talked about the most eminent factors that helped to form the cultural links between the two states , I explained the impact of the political life on the cultural situation in the two states , I cleared out the periods when the relations between the two zones permitted the existence of cultural links between them , I also mentioned the religious and scientific institutions that existed in Baghdad and Cordova , I also clarified the concern of the Abbasid successors , and the Umayyad Amirs and successors about it and its impact on the two states , and its importance in emphasizing the cultural relations between the two countries .

The third chapter concentrated on studying **the scientists and their role in strengthening the cultural relations between the two countries** , this chapter talks about the most important Cordovan scientists who arrived to Baghdad , in order to visit and learn , then I mentioned the most immanent Baghdadi scientists who traveled to Cordova from Baghdad , and their impacts on the social and scientific life in Cordova , I concluded this chapter by talking about Baghdadi literary publications that reached Cordova and studied their.

The fourth and last chapter , titled the impact of cultural links between Baghdad and Cordova on Europe .

I consecrated this chapter to talk about the impact of these links on the whole of Europe in several fields , like the literary field which contains the impact of the Baghdadi poem , prose , and story art on the Spanish and European poem and story art . and the scientific and the art field in witch I talked about the translation operation from Arabic to Latino language , and sending scientific delegations to receive Arabic sciences , and benefiting from them , and encouraging the European rulers to open embassies in the Abbasid and Umayyad states , the nature of these embassies , and also talking about carrying the paper industry to Europe from Baghdad through Spain , and the progress it made in the scientific movement in the rest of Europe.

Finally , I do not pretend that I Know all about this subject , But I exerted all of my efforts to do so , I also seek excuse for any mishaps or deficiency in this study . I bag god that my work gets all admire and approval.

The researcher

المصادر والمراجع

أولاً : المصـــادر :

- القرآن الكريم ، مصحف الجماهيرية ، برواية قالون عن نافع ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ،1997

- ابن الأبـــار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ/1259 م) .

1- الحلة السيراء ، تقديم عبد الله كنون ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1381 هـ/1962 م .

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزرى (ت 630 هـ/1232 م)

2- الكامل في التاريخ ، ج5،8،9 ، دار صادر ، بيروت، 1982 م.

- البناهـــــي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن .

3- تاريخ قضاة الأندلس ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1980 م .

- الإدريســي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت قبل 548هـ /1153 م)

4- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مج2 ، عالم الكتب ، بيروت، 1989 م .

- الأزدي : الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجتاني (ت 275 هـ/888 م)

5- سنن أبي داود ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ/2001 م .

- ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ/1269م) .

6- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعه وصححه محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1998 م .

- ابن بســـام : أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542 هـ/1147 م) .

7- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق4 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1979 م .

- البـــلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279 هـ/892 م).

8- فتوح البلدان ، تقديم إبراهيم بيضون ، دار إقرأ ، بيروت ، 1992 م .

- الجاحـــظ : أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255 هـ/868 م) .

9- البيان والتبيين ، ج3 ، القاهرة ، 1948 م .

10- رسائل الجاحظ ، ج1 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م .
- ابن جبيـــر : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614 هـ/1217 م) .
11- رحلة ابن جبير ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1988 م .
- ابن جلجـل : أبو داود سليمان بن حسان (ت 384 هـ/994 م) .
12- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955 م .
- الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331 هـ/942 م) .
13- كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البا الحلبي وأولاده ، القاهرة ، 1980 م .
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ/1200 م) .
14- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج8 ، حيدر آباد الدكن، 1357 هـ .
- ابن حـــزم : أبو محمد علي بن أحمد (ت 456 هـ/1063 م) .
15- جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، 1948 م .
- الحميـــري : محمد بن عبد المنعم (ت في أواخر القرن 9 هـ/16 م) .
16- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مطابع هيد لبرغ ، بيروت ، 1984 م .
- الحنبلـــي : أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد (ت 1089 هـ/1678 م) .
17- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د- ت) .
- ابن حوقـل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت 367 هـ/977 م) .
18- صورة الأرض في الطول والعرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د- ت) .
- ابن حيـــان : أبو مروان ابن حيان بن خلف (ت 469 هـ/1076 م) .
19- المقتبس في تاريخ الأندلس ، تحقيق وشرح إسماعيل العربي ، دار الأفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 م .

- ابن خرداذبة : أبو عبيد الله بن أحمد (ت 280 هـ /893 م) .
20- المسالك والممالك ، نشر ، دى غويه ، ليدن ، 1889 م .
- الخطيب البغدادي : الحافظ أبي بكر أحمد علي (ت 463 هـ/1070 م) .
21- تاريخ بغداد ، ج13،12،10 ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م .
- ابن الخطيب : أبو عبد الله محمد لسان الدين.
22- أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليني بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان ، 1956 م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/1405 م) .
23- العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج4 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1967 م .
24- المقدمة ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1991 م .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد (ت 861 هـ/1282 م) .
25- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج5 ، تقديم محمد عبد الرحمن المر عشي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، 1997 م .
- ابن دحيـــة : أبو الخطاب عمر بن الحسن البلنسي (ت 633هـ/1535 م) .
26- المطرب من أشعار أهل الغرب ، تحقيق مصطفى عوض كريم، الخرطوم ، 1954 م .
- الدينـــوري : أحمد بن أبي حنيفة داوده (ت 282 هـ/895 م) .
27- الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، 1959 م .
- الذهبـــــي : الحافظ شمس الدين (ت 748 هـ/1347 م) .
28- تذكرة الحفاظ ، ج3 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1974 م .
- الـــــرازي : محمد بن أبي بكر عبد القادر .
29- مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1983 م .
- الزركلـــي : خير الدين .
30- الأعلام ، ج3- 6 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 2005 م .

- ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 626 هـ/1325 م) .
31- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1936 م .
- الزبيـــدي : أبو بكر محمد بن الحسن (ت 380 هـ/990 م) .
32- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، 1954 م .
- ابن سعـــد : محمد بن سعد بن منيع (ت 230 هـ/845 م) .
33- الطبقات الكبرى ، مج7 ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1814هـ/1997 م .
- ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد (ت 685 هـ/1286 م) .
34- المغرب في حُلي المغرب ، ج1-2 ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ، 1964 م .
- السمعانـــي : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التعليمي .
35- الأنساب ، نشره دبن مرجليون ، بالأوفست ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، 1912 م .
- السيوطـــي : جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ/1505 م) .
36- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د- ت) .
37- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، القاهرة ، (د- ت) .
- صاعد الأندلسي : أبو القاسم .
38- طبقات الأمم ، تحقيق حياة بو علوان ، دار الطليعة ، بيروت ، 1985 م .
- الضبـــي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599 هـ/1202 م) .
39- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي ، 1967 م
- الطبـــري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ/922 م) .
40 - تاريخ الرسل والملوك ، ج8 ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف القاهرة ، (د- ت) .

- ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد (ت 327 هـ/939 م) .
41- العقد الفريد ،ج7، دار الأندلس ، لبنان ، 1988 م .
- ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا عام 712 هـ/1312 م) .
42- البيان المغرب في ذكر أخبارالأندلس والمغرب ،ج2 ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، (د- ت) .
- ابن الفـــداء : عماد الدين إسماعيل .
43- تقويم البلدان ، دار السلطانية ، باريس ، (د- ت) .
- ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد يوسف (ت 626 هـ/1228 م) .
44- تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السيويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م .
- الفيومـــــي : أحمد المقري .
45- كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، (د- ت) .
- القالـــــي : أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت 356 هـ/969 م) .
46- الأمالي ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ابن قتيبـــة : أبو محمد عبد الله مسلم (ت 276 هـ/889 م) .
47- عيون الأخبار ،ج3 ، شرحه وعلق عليه مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986 م .
- القزوينـــي : زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ/1283 م) .
48- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، (د- ت) .
- ابن القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي يوسف (ت 646 هـ/1248 م) .
49- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبع في ليبزك ، 1320 هـ .
50- إنباه الرواة على إنباه النحاة ،ج1- 4 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986 م .
51- تاريخ الحكماء ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د- ت) .
- القلقشنـــدي : أحمد بن علي (ت 821هـ/1418 م) .
52- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج1 ، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م .

- ابن القوطية : أبو بكر محمد القرطبي .
53- تاريخ افتتاح الأندلس ، حققه وقدم له إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م .
- الكتبـــــي : محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي (ت 764 هـ/1362 م) .
54- فوات الوفيات والذيل عليها ، مج2 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1993 م .
- ابن كثيـــر : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت 774 هـ/1372 م) .
55- البداية والنهاية في التاريخ ، ج12،3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م .
- ابن ماجـــه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ/888 م) .
56- سنن ابن ماجه ، ضبط نصه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1423 هـ/2002 م .
- المـاوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450 هـ/1058 م) .
57- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1960 م .
- المتنبـــــي : أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت 354 هـ/965 م) .
58- ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت ، (د- ت) .
- مجهـــول :
59- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم ، مطبع ريدنير ، مدينة مجريط ، 1867 م .
- المراكشـــي : عبد الواحد بن علي (ت 669 هـ/1270 م) .
60- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1998 م .
- المرســـــي : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة .
61- المخصص ، ج1 - 2 ، تحقيق مصطفى السقا ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1996 م .
- المسعـودي : أبو الحسن بن علي الحسن بن علي (ت 346 هـ/957 م) .
62- مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج3 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987 م .

- المعـــــري : أبو العلاء (ت 449 هـ/1057 م) .
63- رسالة الغفران ، دار صادر ، بيروت ، (د- ت) .
- المقـــدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 387 هـ/997 م) .
64- أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ، ج3 ، نشر دى غويه ، ط2 ، ليدن 1906 م .
- المقـــــري : شهاب الدين أبو عباس أحمد (ت 1041 هـ/1631 م) .
65- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، ج1- 4 ، تحقيق مريم قاسم ويوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1995 م .
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711 هـ/1311 م) .
66- لسان العرب ، ج1،9،3 ، دار الجيل ، لبنان ، 1988 م .
- ابن النديـــم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 383 هـ/993 م) .
67- الفهرست ، تحقيق رضا ، دار المسيرة ، 1988 م .
- النـــــووي : يحيى الدين أبو زكريا (ت 676 هـ/1277 م) .
68- صحيح مسلم ، ج13 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د- ت) .
- النويـــــري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ/1332 م) .
69- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج4 ، دار الكتب ، (د- ت) .
- الهمذانـــــي : أبو بكر أحمد بن محمد .
70- كتاب البلدان ، بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1302هـ .
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626 هـ/1230 م) .
71- معجم الأدباء ، ج7،16،11 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د- ت) .
72- معجم البلدان ، ج1 - 3 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 م .
- اليعقوبـــــي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 282 هـ/895 م) .
73- تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، دار صادر ، بيروت ، (د- ت) .
74- كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1988 م .

ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

- الأبيـــض ، أنيـــس .

1- بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، جروس برس ، لبنان ، 1994 م .

- أحمـــــد ، مصطفى أبو ضيف .

2- القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (91-422 هـ/710 – 1031 م) الدار البيضاء ، 1981 م .

- أميـــــن ، أحمـــد .

3- ضحى الإسلام ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2000 م .

4- فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1975 م .

- بارتولـــد ، لويس .

5- دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، تر ، فريد حداد ، مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد ، بغداد ، 1973 م.

- بالنثيـــــا ، أنخل جنثالث .

6- تاريخ الفكر الأندلسي ، تر ، حسين مؤنس ، القاهرة ، 1955 م .

- بامـــــات ، حيـــــدر .

7- إسهام المسلمين في الحضارة الإسلامية ، تر ، ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (د- ت) .

- البتونـــــي ، محمد لبيب .

8- رحلة الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (د- ت) .

- بروفنســال ، ليفـــي .

9- حضارة العرب في الأندلس ، تر ، ذوقان قرقوط ، درا مكتبة الحياة ، بيروت (د- ت) .

- بطاينـــــة ، محمد ضيف الله .

10- في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ج1 ، دار الفرقان ، عمان ، 1985 م .

- بـــــك ، أحمد عيســـى .
11- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، بيروت ، 1981 م .
- بيضـــون ، إبراهيـــم .
12- الدولة العربية في أسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 م .
- تاوبـــــت ، محمد ومحمد الصادق عفيفي .
13- الأدب المغربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1969 م .
- التليســـي ، بشير رمضان وجمال هاشم .
14- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2002 م .
- التواتـــي ، عبد الكريم .
15- مأساة انهيار الوجود العربي للأندلس ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، 1967 م .
- جـــــب ، هاملتون .
16- تراث الإسلام ، تر ، أحمد علي ، الألف كتاب النهضة ، 1955 م .
- الجزائـري ، عبد الكريم .
17- الثقافة ومآسي رجالها ، شركة الشهاب ، الجزائر (د- ت) .
- الجميلـــي ، رشيد حميد حسن .
18- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ، في القرنين الثالث والرابع لهجريين ، طرابلس ، 1982 م .
- حبيبـــــه ، علـي .
19- العباسيون في التاريخ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1980 م .
- حجـــازي ، مصطفى .
20- ثقافة الطفل العربي بين التعريب والأصالة ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، 1990 م .
- الحجـــي ، عبد الرحمن علي .
21- تاريخ الموسيقى الأندلسية ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت 1969 م .

- حسيـــــن ، عبد المنعم محمد .
22- إيران والعراق في العصر السلجوقي ، ط1 ، القاهرة، 1982م.
- حـــــلاق ، حسـان .
23- علاقات الحضارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الأندلس ، صقلية ، الشام ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 م .
- حميـــــدة ، عبد الرحمن .
24- أعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، دمشق ، (د- ت) .
- الخربوطلي ، علي حسن .
25- الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د- ت)
- الخطيـــب ، حنيفـــة .
26- الطب عند العرب ، بيروت ، 1988 م .
- خفاجـــي ، محمد عبد المنعم .
27- الأدب العربي وتاريخه في العصريين الأموي والعباسي ، دار الجيل ، بيروت ، 1990 م .
- أبو خليـــل ، شوقي .
28- الحضارة العربية الإسلامية ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس 1993 م .
- دحمانـــي ، شريفة محمد عمر .
29- العلاقات السياسية في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000 م .
- الدفـــاع ، علي عبد الله .
30- موجز في التراث العربي الإسلامي ، مطبعة الرسالة ، بيروت 1977 م .
- ديـــاب ، مفتاح محمد .
31- مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، 1997 م .
- الرحيلـــي ، سليمان ضفيدع .
32- العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا ، مكتبة كلية الآداب ، القاهرة ، 1981 م .

- الرفاعـــي ، أحمد فريد .
33- عصر المأمون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997 م.
- رمضـــان ، سعيدة محمد .
34- في الأدب الأندلسي ، رابطة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999 م .
- الروضـــان ، عبد عون .
35- موسوعة شعراء العصر العباسي ، ج2 ، دار أسامة ، عمان ، 2001 م .
- الـــزاوي ، الطاهر أحمد .
36- مختار القاموس ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1998 م .
- زكريـــا ، زكريا هشام .
37- فضل الحضارة العربية على العالم ، القاهرة ، 1970 م .
- زكـــي ، أحمد كمال .
38- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971 م .
- زيتـــون ، محمد محمد .
39- مسلمون في المغرب والأندلس ، دار الوفاء ، القاهرة، 1984م.
- سالـــم ، السيد عبد العزيز .
40- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1988 م .
41- فن الغناء والموسيقى بالأندلس. دار المعرف، الشعب، العدد61
42- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج1-2 ، دار النهضة ، بيروت ، 1982 م .
43- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999 م .
44- المساجد والقصور بالأندلس ، سلسلة إقرأ ، العدد 190 ، دار المعارف ، مصر (د- ت) .

- سليـــــم ، محسن محمد حسن .
45- دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2004 م .
- السيـــــد ، محمود .
46- تاريخ العرب في بلاد الأندلس . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2005 م .
- الشطشـــاط ، علي حسين .
47- الطبيب والمترجم والناقل ثابت ابن قرة الحراني ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990 م .
- شلبـــــي ، أحمـــد .
48- تاريخ التربية الإسلامية ، بيروت ، 1954 م .
- الشكعـــــة ، مصطفى .
49- الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده ، بيروت ، 1982 م .
50- معالم الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1988 م .
- شمس الدين ، مجدي محمد .
51- الحضارة الأندلسية وعبقرية زرياب ، مطبعة العشرى ، مصر 2002 م .
- الشيـــــال ، جمال الدين .
52- تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993 م.
- الشيـــــخ ، محمد محمد مرسي .
53- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس في أواخر القرن العاشر الميلادي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 م.
- صليبـــــا ، جميـل .
54- المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (د- ت).
- الصوفـــي ، خالـــد .
55- تاريخ العرب في أسبانيا ، عصر المنصور الأندلسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د- ت) .
- ضيـــف ، شوقـــي .
56- العصر العباسي الأول ، القاهرة ، 1975 م .

- الطحـــاوي ، حاتم عبد الرحمن .
57- دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2003 م .
- طقـــوش ، محمد سهيل .
58- تاريخ الدولة العباسية ، دار النفائس ، بيروت ، 2005 م .
- الطيبـــي ، أمين .
59- الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوروبية ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1986 م .
- عاشـــور ، سعيد عبد الفتاح .
60- أوروبا في العصور الوسطى ، ج1-2 ، 1994 م .
- العبـــادي ، أحمد مختار .
61- في التاريخ العباسي ، والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1971 م .
- عبـــاس ، إحســان .
62- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، لبنان ، 1996 م .
63- تاريخ الأدب الأندلسي ، وعصر الملوك والطوائف ، دار الثقافة، لبنان ، 1996 م .
- عتيـــق ، عبد العزيز .
64- الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د- ت).
- عطـــا الله ، خضر أحمد .
65- بيت الحكمة في عصر العباسيين ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- علـم الدين ، مصطفى .
66- الزمن العباسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1983 م .
- العمـــري ، نادية الشريف .
67- أضواء على الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1986 م .

- عنـــــان ، محمد عبد الله .
68- دولة الإسلام في الأندلس ، ق1-2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1969 م .
69- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1962 م .
- عيســـــى ، رحاب إبراهيم سليمان .
70- أبرز العلماء العرب والمسلمين وماذا قدموا للعلم ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2003 م .
- غنيمـــــة ، عبد الفتاح مصطفى .
71- ميادين الحضارة الغربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي ج1 ، دار الفنون العلمية ، الإسكندرية ، 1991 م .
- الغنيمـــي ، عبد الفتاح مقلد .
72- الإسلام والثقافة العربية في أوروبا ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1979 م .
- غومـــس ، غرسيا .
73- الشعر الأندلسي ، تر ، الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، 1956 م .
- غيـــث ، زكي محمد وآخرون .
74- محاضرات في التاريخ الإسلامي ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، 1955 م .
- الفاخوري ، حنـا .
75- الموجز العربي وتاريخه ، مج1-2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م .
- فـــراج ، عز الدين .
76- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د- ت) .
- فـــروخ ، عمـر .
77- عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1985 م .

- الفقـــــي ، عصام الدين عبد الرؤوف .
78- دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د- ت) .
79- الدولة العباسية ، نهضة الشرق ، القاهرة ، 1987 م .
- لوبـــــون ، جوستاف .
80- حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، عيسى البابي الحلبي ، 1969 م .
- كحالـــــة ، عمر رضـــا .
81- معجم المؤلفين ، ج3 ، دار إحياء التراث العربي ، 1957 م .
- ماجـــــد ، عبد المنعم .
82- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1986 .
- متـــــز ، آدم .
83- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، نقله إلى العربية محمد بن عبد الهادي ريده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط4 ، 1948 م .
- المخزومـي ، مهدى .
84- عبقري من البصرة ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1406 هـ /1986 م .
- المـــــدور ، جميل نخلة .
85- حضارة الإسلام في دار السلام ، مطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1986 م .
- مرحبـــــا ، محمد عبد الرحمن .
86- الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، بيروت ، 1970 م .
- مـــــرزوق ، محمد عبد العزيز .
87- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، لبنان ، (د- ت) .
- مظهـــــر ، جـلال .
88- حضارة الإسلام وأثرها في الرقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1974 م .

- معـــروف ، ناجـــي .
89- أصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، لبنان ، 1975 م .
- مؤنـــــس ، حسيـن .
90- فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة العباسية (711 - 756 م) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ط2 ، 1405 هـ/1985 م .
91- معالم المغرب والأندلس ، دار الإرشاد ، القاهرة ، 1997 م .
- ناجـــــي ، عبد الجبـار .
92- من تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي ، مطبعة دار الحكمة ، البصرة ، 1991 م .
- نبـــــــي ، مالك .
93- مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، سوريا ، 1984 م .
- نخبة من الأساتذة .
94- العراق في موكب الحضارة ، ج3 – 4 ، دار الحرية للطبعة ، بغداد ، 1988 م .
95- المدينة والحياة المدنية ، ج2 – 3 ، دار الحرية للطبعة ، بغداد ، 1988 م .
- نعنعـــــي ، عبد المجيد .
96- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د- ت) .
- نور الديـن ، زرهونـي .
97- الطب والخدمات الطبية في الأندلس ، القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م.
- الهاشمـــــي ، عبد المنعم .
98- موسوعة التاريخ العربي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، دار البحار ، بيروت ، 2006 م .
- ويستنفلـــد ، ف .
99- جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من سنين ميلادية بأيامها وشهورها ، تر ، عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 م .

ثالثاً : المقالات والبحوث :

- الجـــرارى ، عباس .

1- أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع ، عالم الفكر ، مج12 ، العدد الأول ، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام في الكويت أبريل – مايو – يونيه ، 1981 م .

- جمال الدين ، محسن .

2- أعلام من الأندلس في بغداد ، مجلة المورد ، مج8 ، العدد الرابع، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ، دار الجاحظ ، الجمهورية العراقية ، 1979 م .

- أبو زايـــدة ، عبد الفتاح أحمد .

3- الثقافة وبناء الشخصية الأدبية ، الفصول الأربعة ، العدد 90 ، الجماهيرية ، يناير ، 2000 م .

- السامرائـــي ، خليل إبراهيم صالح .

4- الملامح السياسية والحضارية لمدينة البصرة من خلال كتاب ألف ليلة وليلة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 34 ، 1407 هـ/1987 م.

- شبـــــوان ، يونـــس .

5- أثر الغناء في ظهور الموشحات الأندلسية ، مجلة المورد ، مج17 ، العدد الأول، دار شئون الثقافة والإعلام ، العراق، 1988م.

- شعيـــــب ، عبد الواحد عبد السلام .

6- من علمائنا الشهداء في جهاد الصليبين بالأندلس ، (القاضي أبو علي الصدفى) ، مجلة الدعوة الإسلامية ، العدد 613 ، طرابلس ، الجماهيرية ، 1428 و.ر .

- الصـافـــي ، علوى طـــه .

7- تعريف الثقافة ومفهومها ، مجلة الفيصل ، العدد 143 ، السعودية ديسمبر ، 1988 م .

- الصفـــدي ، أحمد عصام .

8- الثقافة والفهم الخاطئ ، الإسلام اليوم ، العدد 6 ، المنظمة الإسلامية الثقافية والعلوم ، الاسيسكو ، 1988 م .

- العريني ، السيد الباز .
9- بعض معالم في عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثالث ، القاهرة ، 1959 م .
- قاسم ، مريم .
10- أضواء على الحركة العلمية في الأندلس ، مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق ، العددان 73 – 74 ، آذار – حزيران ، 2001 م .
- الكزبري ، سلمى الحفار .
11- الحضارة العربية في الأندلس كما يراها الأسبان ، المعاصرون، مجلة العربي ، العدد 380 ، تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت يوليو ، 1990 م .
- ناجي ، عبد الجبار .
12- أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة ، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة ، العدد 1 - 2 ، الجمهورية العراقية ، مج18 ، ، 1986 م .
- نعمان ، أحمد .
13- اثر العقيدة الخاتمة في ثقافة المسلمين ، رسالة الجهاد ، العدد102 ، الجماهيرية ، الفاتح ،1991 م .
14- علاقة اللغة بالفكر والثقافة ، رسالة الجهاد ، العدد 83 ، الجماهيرية ، ديسمبر ، 1989 م .
- الودغيري ، عبد العلي .
15- المعجم العربي في الأندلس ، عالم الفكر ، مج12 ، العدد الأول تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام في الكويت ، أبريل – مايو – يونيو ، 1981 م .
- الولي ، الشيخ طه .
16- المدينة في الإسلام ، مجلة الفكر العربي ، العدد 29 ، تصدر عن معهد الاتحاد العربي ، لبنان ، تشرين الأول – تشرين الثاني ، 1982 م

رابعاً : الرسائل العلمية :

- الحصـــادي ، وفاء مفتاح .

1- دور الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البيان الأول ، بنغازي ، 2006 - 2007م .

- خليفـــــــة ، وفاء عوض سليم .

2- رحلة علمية من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي في الفترة ما بين القرنين (4 - 6 هـ/10 - 12 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، طرابلس ، 2007 م .

- عبد الدائـم ، نجيب صالح .

3- العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول (132 - 232 هـ/749 - 846 م) ، الجانب السياسي ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة التحدي، سرت ، 2006 - 2007 م.

- وادي ، فتحي صلاح عبد السلام .

4- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق الإسلامي (من القرن 3-6هـ /9 - 12 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البيان الأول ، بنغازي ، 2005 – 2006 م .

خامساً : المراجع الأجنبية .

1- G.Payne : Stanley A history of Spain and Portgal part I U.S, University of Wisconsin, press , 1976 .

2- Provencal : Levi., LE Spayne Musulmaneauxe Siecle Paris , 1932 .